Issue 697

صفر 1446هـ

الرابطة

الرابطة تطلق التقرير الدوري:

للمبادرات والبرامج

حول العالم

Issued by the Muslim World League

مبادرات «الرابطة»

حول العالم

■ حمـل التقرير الدولي لرابطة العالم الإسـلامي للعام الهجري الجديـد في طياته العديد من المبادرات والبرامج الواعدة حول العالم. والتي يُنتظر إنفاذها عبر فعاليات وأنشـطة مختلفة ركزت عليها مضامين وثيقة مكة المكرمة والتي تعد من أهم المحركات لعمل وخطط الرابطة خلال الفترة المقبلة.

ومن تلك المبادرات عقد المؤتمر الدولي «بناء الجسـور بين المذاهب الإسـلامية»، بمشـاركةٍ واسـعةٍ من ممثلي المذاهب والطوائف الإسـلامية، وصدرت منه وثيقة شـملت ٢٨ بنداً عبرت عن إدراك علماءِ الأمّةِ وممثلي مذاهبها وطوائفها لواجب الوقت في التذكير بمفهوم الأمّة الواحدة، وكونهم في هذا العصر أحوج ما يكونون إلى رصّ صُفوفهم، وانسجام أمرهم على مشتركاتهم الجامعة التي تلُمّ شعثهم، وتوحِّد شتاتهم، وتؤلِّف قلوبهم، وتجْمَع اختلاف مذاهبهم وطوائفهم حول أصول الإسلام وكُلياته، وثوابت أحكامه وتشريعاته، التي بها يَنتظم كيانُهم، وتُصان حقوقهم، وتُحفظ كرامتهم؛ لتتجاوز الأمّة براسخ وعْيها، وعُلُوّ همّتها ما يفرّق جَمْعها، ويُذهب رِيحَها؛ سمعاً وطاعةً لأمْر ربّها جل وعلا

وسيسـتمر خـط سـير تلك المبادرات في السـعي الحثيث نحـو تعزيز وحدة الأمة الإسـلامية في قضاياها الدينية المشـتركة، ولاسـيما مواجهة حملات الإسلاموفوبيا ومظاهر الإسـاءة للمشاعر الإسلامية، وأفكار وأساليب التطرف باختلاف منطلقاتها وأهدافها.

وكذلـك أنشـأت الرابطـة في هذا السـياق مجلـس علماء دول آسـيا، ومجلـس علماء إفريقيـا، ومجلس القيـادات الدينيـة في أمريكا الشـمالية والجنوبية، والـدول الأوروبية، وواصلت عقـد اجتماعات المجمع الفقهي الإسلامي الذي يضم في عضويته كبار مفتي وعلماء الأمة الإسلامية، ويعنى المجمع ببيان الأحكام الشـرعيّة التي تُواجِه المسـلمين من مشـكلاتٍ ونوازل، وإبراز إبداع الفقه الإسـلامي، إضافةً إلى نشـر التّراث الفقهيّ الإسلاميّ وتوضيح مصطلحاته بِلُغَة العصر.

كما أنها ستعمل على إكمال الحوارات المفتوحة مع كبرى مراكز الأبحاث والدراسات الفكرية في الشرق والغرب لإيضاح الحقائق الإسلامية في عدد من القضايا والمسائل المهمة.

وتأتـي هـذه المبادرات مـع الجهود التي تبذلهـا الرابطة امتدادًا لمـا عملت عليه سـابقًا في دعم وتعزيز وحدة الأمة الإسـلامية، خصوصًا في هذا الوقت الذي يشـهد تسـارعًا في وتيرة الأحداث الدولية، ما يجعلها تعيش سـباقًا مع الزمن لملاحقة المسـتجدات وفق خطة استراتيجية تمنح قضايا المسلمين والأقليات المسلمة جل اهتمامها وتركيزها.

وباتـت هـذه الجهـود ذات أثـر في كثير من الدول، ما يجعل شـعوب تلك الدول يستشـعرون قيمة هذا الدور، ويدركون مدى أهميته، حين يلمسونه فعليًا.

المحتويات

Contents

شهرية - علمية - ثقافية

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري | مساعد الأمين العام للاتصال المؤسّسي

أ. ياسر بن صالح الغامدي | المدير العام لإدارة المحتوى

د. عثمان أبوزيد عثمان | رئيس التحرير

د. أحمد بن حمد جيلان | المستشار الإعلامي

أ. عبدالله بن خالد باموسى | مدير التحرير

- المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب 537 مكة المكرمة - هاتف: 00966125309387 المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير - البريد الإلكتروني: mwljournal@themwl.org.

- الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

- الرابطـة تطلق التقرير الـدوري للمبادرات والبرامج حول العالم
- هـل ظاهـرة «الإسـلاموفوبيا» في طريقهـا للزوال؟
- الاتجـار بالبشـر جريمـة العصـر وعبوديـة الإنسان
- المعجم ودوره في تعليم اللغة العربية
- أميـن أكاديميـة لندن: أتمنـى نقل متحف «السيرة النبوية» إلى بريطانيا
- عمارة المساجد التقليدية في إفريقيا
- الاستشراق مأزق المواجهة و آفاق الحوار
- قراءة في كتاب «وقولوا انظرنا»
- البكيرية «ولّادة العلماء» «ومعقل الأئمة»

- للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org
- طبعت بمطابع تعليم الطباعة - رقم الإيداع: 343/1425 - ردمد: 1658-1695.

الرابطة تطلق التقرير الدوري للمبادرات والبرامج حول العالم

الرابطة - مكة المكرمة:

■ أطلقت رابطة العالم الإسلامي تقريرها الدوري المشتمل على الخريطة الدولية لمبادراتها وبرامجها حول العالم.

شمل التقرير استمرار برامج تنفيذ مضامين «وثيقة مكة المكرمة»، و«وثيقة بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية»، وهما الوثيقتان اللتان أمضاهما مفتو وعلماء الأمة الإسلامية برعاية كريمة لمؤتمريهما الدوليين من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز يحفظه الله، حيث تم اعتماد مضامين وثيقة مكة المكرمة لتدريب الأئمة في عدد من الدول الإسلامية ودول الأقليات. جاء ذلك بعد إقرار دول منظمة التعاون الإسلامي لهذه الوثيقة.

كما تضمن التقرير قيام الرابطة بإنشاء مجلس علماء دول آسيان، ومجلس علماء

إفريقيـا، ومجلس القيـادات الدينية في أمريكا الشـمالية والجنوبية، والدول الأوروبية، وكذا تعزيـز دور المجمـع الفقهي الإسـلامي الذي يضـم في عضويتـه كبـار مفتي وعلمـاء الأمة الإسلامية.

فيمـا تضمن التقرير بياناً مفصلاً لاسـتكمال الرابطـة مهامهـا نحـو تعزيـز وحـدة الأمـة الإسـلامية في قضاياهـا الدينيـة المشـتركة ولاسـيما مواجهـة حمـلات الإسـلاموفوبيا ومظاهـر الإسـاءة للمشـاعر الإسـلامية، ومواجهـة أفـكار وأسـاليب التطـرف باختلاف منطلقاتها وأهدافها،

وكذا اسـتكمال الحوارات المفتوحة مع كبرى مراكز الأبحاث والدراسـات الفكرية في الشرق والغرب لإيضاح الحقائق الإسلامية في عدد من القضايا والمسائل المهمة.

أكدتها دراسة حديثة لمجلة الرابطة:

هل ظاهرة «الإسلاموفوبيا» في طريقها للزوال؟

د. محمد وقيع الله أحمد - الإمارات

■ أشارت دراسة لمجلة رابطة العالم الإسلامي إلى أن ظاهرة الإسلاموفوبيا سوف تنكمش على المدى البعيد شيئا فشيئا، ثم تفقد صفتها كأمر مسلّم به، وذلك على الرغم من أن الظاهرة تشهد تصاعدًا في معدلاتها على المدى القصير، بالتوالي مع تصاعد أحداث الصدام المؤدية إليها، وبسبب من طرْق الإعلام الغربي المتوالي عليها.

وذكرت الدراسة التي أجراها الأستاذ الدكتور محمد وقيع الله أحمد بعنوان: ظاهرة الإسلاموفوبيا ومستقبلها في العالم الغربي، إلى أن العقل الغربي أنتج اعتقادات، لم يلبث أن تراجع عنها مثل الاعتقاد بمركزية القارة الأوروبية، وأفضلية الجنس الأبيض، ورقي العرق الآري، والإيمان بقدوم السوبرمان الألماني، وأسطورة نهاية التاريخ، وأن مستقبل ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغالب لن يكون مختلفا عما حدث لهذه الظواهر غير العقلانية التي تراجع عنها الغربيون وفاؤوا بعدها إلى شيءٍ من الحق.

وأرجعت الدراسة استشراء ظاهرة الإسلاموفوبيا إلى عوامل تنبثق من تلقاء الطرفين الإسلامي وغير الإسلامي معا، ولكنها تقرر أن مساهمة الطرف غير الإسلامي في تأجيج الظاهرة أكبر من تأثير الطرف الإسلامي، وذلك بما أنه مبتلًى بالجهل بالإسلام دينا وبأوضاع المسلمين واقعا، ولجنوحه المفرط نحو التعميم والتنميط ومحاسبة الجاليات الإسلامية في الغرب بسلوك قلة قليلة من أفرادها الطائشين.

وأشارت الدراسة إلى أنه لا توجد قرائن ولا بوادر صدام بين الأقليتين المسلمة واليهودية في ديار الغرب، وهذا ما أكدته الإحصاءات التي استعرضتها هذه الدراسة، حيث تأكد من رصد الأحداث أن صداما مثل ذلك لم يحدث رغم اشتعال الصراع في الشرق الأوسط.

ومن زاوية أخرى دلّت نتائج بعض الاستطلاعات على أن آراء يهود الولايات المتحدة ليست -في خطها العام- متحاملة على مسلمي تلك البلاد، وأن أكثر ما يحدث من تحامل وتحرش وإسلاموفوبيا إنما يصدر من طوائف غيرها.

وعن أثر الإعلام في تأجيج الظاهرة قالت الدراسة إن الإعلام هو البوق الأكبر الذي يباشر التحريض، وينشر سُموم الكراهية، ويبعث سَمومها، مما يدعو للحاجة إلى جهود أكاديمية لتحليل ونقد أساليب بعض أجهزة الإعلام الغربي في التخويف من الإسلام والمسلمين.

وذكرت الدراسة أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تحتاج إلى جهود توعوية كثيفة من قبل الجاليات الإسلامية لإرشاد شبابها بمدى إضرار أحداث العنف والإرهاب بسمعة المسلمين، وهذا أمر ينبغي أن يتم في كل حال؛ لأن لنزق بعض المتطرفين عواقب شتى من بينها تشويه صورة الدين الإسلامي في نظر الغربيين، وتسعير حمى الإسلاموفوبيا في الأوساط الشعبية خاصة، وتحريض بعض متطرفيها لارتكاب جرائم عنف ضد المسلمين.

ونوّه الباحث إلى حاجة ناشئة المسلمين في الغرب إلى برامج خاصة لتعليم الإسلام، فهم محرومون من تدريس الدين في المدارس العامة، بحكم القانون الذي يمنع تدريس الدين في المدارس، ومحرومون أيضا من تلقي الإرشاد الديني الكافي في محيط الأسرة، بحكم ضعف كفاءة أكثر الآباء والأمهات في العلم الديني، وقلة تفرغهم لتعليم أبنائهم، ومن هنا مسّت الحاجة إلى ابتكار وسيلة ما لتوعية الأبناء بطبيعة الدين، وتبصيرهم بمنحاه السلمي في التعامل مع الغير، وبنهيه المشدد عن مقارفة العنف والعدوان.

دور الجاليات المسلمة مهم وفعال في توعية الشبان المسلمين بأضرار العنف والإرهاب

وذهبت الدراسة في تحليلها لظاهرة الإسلاموفوبيا إلى المقارنة مع الحرب الباردة بين القطبين الدوليين؛ الاتحاد السوفيتي السابق، والولايات المتحدة الأمريكية، ومع أنه لا يمكن مقارنة أطراف ذلك الصراع الإيديولوجي المصلحي الكبير من حيث الحجم والحدة، بما هو ناشب الآن في حالة الإسلاموفوبيا، فإن مما هو مثير للقلق أن صراع الإسلاموفوبيا ناشب الآن بين القواعد الشعبية، بينما كان صراع الحرب الباردة قائما على مستوى السلطات الحكومية الرسمية.

ومن أسباب القلق أن صراع الحكومات يمكن تهدئته -عقلانيا- عن طريق المفاوضات، وتبادل التنازلات، خوفا من سوء المغبّات، أما صراع الإرادات الشعبية فهو صراع تطغى عليه العواطف، ويخبو فيه صوت العقل، ومن ثم ينذر بالانفلات ثم لا يسهل لجمه بعد ذلك.

وانتهت الدراسة إلى بعض التوصيات من أجل الإسهام في مواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا، وفي طليعتها تنبيه الأوساط الغربية بأن عدم اندماج المسلمين الكامل في المجتمعات التي يقيمون فيها، ينبغي ألا يُفهم بأن فيه استنكاف أو تعدٍّ على تلك الأوساط كما قد يتبادر إلى الأذهان، وإنما هو واقع تمليه ظروف الجاليات الإسلامية، وتمثل لخصوصيتها الثقافية في ظل التعددية الثقافية الغربية، وهو سلوك لا يمنع من التلاقي والاختلاط العادي مع غير المسلمين.

وأوصت الدراسة بتمسك مسلمي الغرب بحقهم كمواطنين غربيين وبأن يبدوا وجهات نظرهم فيما تحتويه مواد مقررات الدراسات الاجتماعية التي تدرس جوانب من الإسلام في سياق المقارنة مع أديان أخرى، منوّهة إلى ما طرأ من تحسين محتويات مقررات التعريف بالإسلام في المدارس والجامعات الغربية، ولا سيما التخلص من كثير مما انطلى على المناهج الدراسية سابقا من زور المستشرقين وعلماء الأديان والمؤرخين المتعصبين.

كما أوصت الأقليات الإسلامية في الغرب بوجوب الاهتمام بمخاطبة وسائل الإعلام الغربية للتعبير عن رأيهم في إطار من المسؤولية والتعاون من أجل تعديل طريقة تناولها للأحداث الإسلامية، وإبداء الملاحظات على فرط تركيزها على تكرار بعض الصور النمطية وحوادث العنف، وكذا للتنبيه إلى تجاهلها للصور الزاهية في المجتمعات الإسلامية في الغرب، من حيث ارتفاع نسبة التعليم فيها، وتميز أفرادها مهنيا، وندرة بلايا ورزايا المخدرات والمسكرات والبغاء وجرائم السطو والقتل في أوساطها، وأن في ذلك ما قد يساعد في إبراز نواحٍ إيجابية في حياة المسلمين يمكن أن

تبرعات الأثرياء من الجاليات المسلمة يجب أن توجه لبناء المراكز والمعاهد الأكاديمية

يتعلمها المجتمع الغربي من مسلميه في مقابل ما يتعلمه المسلمون من نواحٍ إيجابية من حياة المجتمع الغربي الذي يستضيفهم.

وأوصت الدراسة الأقليات المسلمة في الغرب أن تستعين بالدول الإسلامية للانتفاع في مواجهة وباء الإسلاموفوبيا بناءً على مقررات منظمة الأمم المتحدة، والمجموعة الأوروبية التي أدانت انتشار هذا الوباء، والاستعانة في مواجهة هذا الوباء بنصوص المواثيق الدولية لحقوق الإنسان التي تدين بكل صراحة وقوة جميع مظاهر التمييز ضد البشر على أساس من العنصر والدين.

وأوصت الدراسة أثرياء الجاليات المسلمة في الغرب أن يوجهوا بعض تبرعاتهم -المعفاة من سجل الضرائب حسب القانون- لإنشاء مراكز أو معاهد أكاديمية ملحقة ببعض جامعات الطبقة الأولى في أوروبا وأمريكا، تكون مهمتها رصد ظاهرة الإسلاموفوبيا، وتحليل المعلومات المتعلقة بها من وجهة نظر علمية محضة، فتمثل بذلك أفضل مواجهة علمية شريفة لأجندة وأضاليل خبراء الإسلام والشرق الأوسط المزعومين.

أصبحت الثالثة بعد السلاح والمخدرات

الاتجار بالبشر

جريمة العصر وعبودية الإنسان

تقرير: د. محمد تاج العروسي

■ الاتجار بالبشر هو رِقّ العصر الحديث، وهو عمل إجرامي جسيم ضد الإنسانية وقيمها ووجودها الآمن، وباعتباره انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم الثلاثين من يوليو كل عام ليكون يومًا عالميًا لمكافحة الاتجار بالبشر عبر قرارها الأممي رقم (١٩٢) الصادر سنة ١٩٦٢م.

وأكدت الجمعية في بيانها بهذا الخصوص أن إقرار مثل هذا اليوم كان ضروريًا «لزيادة الوعي بحالة ضحايا الاتجار بالبشر وتعزيزا لحقوقهم وحمايتها»، إضافة إلى تسليط الضوء على قضاياهم، ومشكلاتهم، والاستماع إلى الناجين منهم والتعلم منهم.

واعتمدت الجمعية بروتوكول مكافحة الاتجار بالبشر بموجب القرار رقم ٢٥/٥٥ المؤرخ في ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٠م، بالإضافة إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية وبروتوكول مكافحة الاتجار بالبشر. وجرى إعداد عدد من المبادرات الإقليمية لمواجهة هذه الظاهرة، فاعتمد مجلس أوروبا اتفاقية المجلس لمكافحة الاتجار بالبشر في عام ٢٠٠٥م، حيث تتناول المادة ٣٩ العلاقة بين هذه الاتفاقية والبروتوكول، إذ تنصّ على أن الاتفاقية لا تؤثر بحقوق الدول والتزاماتها بموجب البروتوكول، ولكن تهدف إلى تعزيز الحماية التي يوفرها البروتوكول، وتطوير المعايير التي ينص عليها، وكذلك اتفاقية رابطة أمم جنوب شرق آسيا لمكافحة الاتجار بالبشر، وبخاصة النساء والأطفال لعام ٢٠١٥م، واتفاقية رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي المتعلقة بمنع ومكافحة الاتجار بالنساء والأطفال لأغراض البغاء لعام ٢٠٠٢م.

أما في إفريقيا، فجرى اعتماد عدة خطط عمل محددة، مثل: خطة عمل «واغادوغو» لمكافحة الاتجار بالبشر التي استهدفت منع ومكافحة

الاتجـار بالبشـر بين الاتحـاد الأوروبـي والاتحاد الإفريقـي، أو خطـة عمـل الجماعـة الاقتصادية لـدول غرب إفريقيا «الإيكـواس» لذلك، أو خطة العمل الاستراتيجية للجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي لمكافحة الاتجار بالبشر.

وسـاعد مكتـب الأمـم المتحـدة المعنـي بالمخـدرات والجريمـة العديد مـن المنظمات غيـر الحكوميـة في الحـرب التـي تخوضها هذه المنظمات ضـد الاتجار بالبشـر. فخلال الصراع المسـلح الذي اندلع في لبنـان عام ٢٠٠٦م، والذي أدى بـدوره إلى فقـد ٣٠٠,٠٠٠ من عمـال المنازل القادميـن مـن سـيرلانكا، وإثيوبيـا، والفلبيـن لوظائفهم، مما جعلهم هدفا للمتاجرين، قامت منظمة كارتاس بقيادة حملة معلوماتية طارئة لرفـع الوعـي بخصوص قضيـة الاتجار بالبشـر. بالإضافـة لذلك، فـإن صـدور التقريـر العالمي للاتجـار بالبشـر في أبريـل مـن عـام ٢٠٠٦م قـد سـاعد في تحديد ١٢٧ بلد منشأ، و٩٨ دولة ممر، بالإضافـة إلى تعريف ١٣٧ دولـة تمثل المقصد الرئيسـي للاتجار بالبشر، وهو ثاني أكثر تقارير المكتـب التـي تـم الاطـلاع علـى المعلومـات الـواردة بهـا. كما قـام مكتـب الأمـم المتحدة بتقديم الدعـم لعدد من المبـادرات من أمثال مشـروع رقابـة المجتمـع المحلي الـذي أقيم على امتداد الشريط الحدودي الواقع بين الهند ونيبال، بالإضافة إلى تقديم الدعم لحملة تبنتها منظمـة غيـر حكوميـة تدعـو من خلالهـا لمنع الاتجار بالأشـخاص بكل من البوسنة والهرسك وكرواتيا.

وقـد أعـدّت مفوضية الأمم المتحـدة المبادئ التوجيهية فيما يتعلّق بحقوق الإنسـان والاتجار بالبشـر، والتعليقـات المسـتفيضة بشـأنها، التـي تهدف إلـى مسـاعدة الذين يشـاركون في جهـود مكافحة الاتجار بالبشـر على دمج حقوق الإنسـان بالكامـل في تحليلهـم واسـتجابتهم للاتجار. وتشمل الوثيقة: أولوية حقوق الإنسان، ومنـع الاتجار، والحماية والمسـاعدة، والتجريم والمعاقبة والإنصاف، كما تتضمّن هذه المبادئ أحد عشر مبدأ توجيهيًا موصى بها توفّر التدابير العملية لتنفيذها.

الجماعات الإرهابية في العالم استغلت المراهقين والأطفال والشباب باسم الجهاد والدفاع عن الإسلام

كما أن لرابطة العالم الإسـلامي التي تعد إحدى المنظمات الكبرى حضورها العالمي في مناقشة هـذا الموضوع مع الجهـات المعنية في مختلف دول العالم.

فقـد حذر أمينهـا العام، معالي الشـيخ الدكتور محمـد بـن عبـد الكريـم العيسـى، مـن تفاقم ظاهرة الاتجار بالبشر، معتبرًا ذلك أمرًا مؤسفًا ومخجـلًا في عصـر تعيش فيه الأمـم واحدةً من أرقـى الحضـارات الإنسـانية الماديـة، وداعيا في الوقـت ذاته العالـم أجمع لوقفة جـادة، واتخاذ تدابيـرَ فعالـة وعاجلـة لإنهـاء هـذه العبوديـة الجديدة، وإنقاذ الضحايا ومسـاعدتهم، وتطبيق التشـريعات الدوليـة ضـد جهـات المنشـأ، أو المعبر.

وقـال معاليه: «إن هذا العصـر يعاني من أزمة أخلاقية، وصلت به إلى تسـليع الإنسـان، وبروز الرق والاستعباد في شكله الجديد»، مشددًا على أن هذه الظاهرة خطيرة جدًا، كونها تعد استغلالا جائرا للإنسان وظروفه القاهرة، وانتهاكا صارخا لحقوقه المشروعة، وتحويله إلى بضاعة رخيصة من قبل عصابات وحشـية تدفـع بضحاياها إلى أتون القهر والاستعباد، وعالم المجهول.

وكشـف في هذا السـياق علـى أن رابطـة العالم الإسـلامي تتابع عن كثـب وبعنايـة بالغة أبعاد تفشـي هـذه الظاهـرة الخطيـرة، وتداعياتهـا الإقليميـة والدوليـة، وتبادر لمكافحتها بشـكل مباشـر أو غيـر مباشـر بعـدة تدابيـر تنفيـذا لبرامجها وخطط عملها، أو بشراكة مع منظمات دولية معنية.

وتعـد قضايا «الاتجار بالبشـر»، ظاهرة دوليّة، لا تَقْتصـر على دولة معينة، وإنما تشـمل العديد مـن الدول، وذلـك باختلاف طرائقهـا وأنماطها، طبقا لِنَظرة الدّولة إلى مفهوم «الاتجار بالبشر»، ومدى احْتِرامها لحقوق الإنسان.

ولـم يكن اقتصار هـذه الظاهرة علـى فئة دون غيرهـا، بـل إن الجماعـات الإرهابيـة في العالـم اسـتغلت المراهقين والأطفال والشـباب باسم الجهـاد والدفاع عن الإسـلام للأسـف الشـديد، وأغرتهم بالمال، ودفعت بهم إلى ميدان القتال تحت مسميات وشعارات مختلفة.

وشكلت هذه الظاهرة تهديداً خطيراً للإنسانية، وأرَقـاً مسـتمراً للمجتمعات البشـرية، بعد أن أصبحـت جريمـة منظمـة في عالم اليـوم، وفق إحصـاءات المنظمـات المعنيـة الأخيـرة التـي أفادت بأن هذه الجريمة أصبحت تصنف ضمن جرائم الاقتصاد الأسـود، بـل إنها قفزت لتصبح الجريمـة الثالثـة دوليًـا بعـد جريمتـي الاتجار بالسلاح والمخدرات.

وتوقعت تقارير تلك المنظمات وفقًا لمؤشراتها المختلفـة بـأن هـذه الظاهـرة ربما سـتتجاوز جريمتي السـلاح والمخـدرات، ويصبح ترتيبها الأول على الصعيد العالمي، بسبب ما تدره من عائـد مالي كبير علـى المتاجرين فيهـا، وباتت الأعداد خلال الأعـوام الماضية في ازدياد ملحوظ سـواءً مـن الضحايا أم مـن المتاجرين بالبشـر أنفسهم.

وكشـفت تلـك التقاريـر أن هنـاك العديـد من العصابات التي باتت تتشكل من أجل الاستفادة ماديـا من هـذه الظاهـرة، مسـتخدمة في ذلك طرقـا مختلفـة يأتـي في مقدمتهـا الاسـتغلال الاقتصادي للأطفال، والسياحة الجنسية، ودعارة القاصرين، وتهريب المهاجرين غير الشرعيين، واسـتغلالهم في تهريـب المخـدرات، وتجنيـد الأطفـال، وبيعهـم، أو التسـول بهـم، والعمـل القسـري، أو تشـغيل العمال بأجور متدنية، أو مقابـل الإيـواء والتغذية أحيانا، وغيـر ذلك من الأشكال.

وأعربـت عـن بالـغ أسـفها مـن عـدم تمكـن

النظـام الدولـي حتـى الآن مـن محاصـرة تلك الظاهـرة والقضـاء عليهـا، ممـا يتطلـب وضع قوانيـن صارمـة لمعاقبة كل مـن يمارس هذا العمل الإجرامـي، ورصدهم، والتضييق عليهم، وملاحقتهم قضائيا، مشـيرة في ذات الوقت إلى أن هذا لا يتحقق إلا من خلال تعاون دولي واسع وشـامل يضم تشـريعات موحدة تجرم امتهان كرامة البشر وإنسانيته.

يشـار إلـى أن التدابيـر المتخـذة للقضـاء على هـذه الظاهرة تتنـوع ما بين العمل الإنسـاني، والاتفاقيـات الأمميـة والتعـاون الدولي لحماية الفئـات المسـتهدفة، وتنظيـم المؤتمـرات والندوات، والمشاركة فيها، واستعراض الطرق الراميـة إلى مكافحة جرائم الاتجار بالأشـخاص، والصكـوك والمواثيـق الإقليميـة والدولية التي تشـكل إطارًا معياريًّا لمكافحتها، وتعزيز الوعي بالأنمـاط السـائدة لهـذه الجرائـم وتطوراتهـا الحديثة، والسُبل المُثلى للحماية والوقاية منها، والاسـتفادة مـن أفضل الممارسـات والتجارب العالمية في مكافحتها.

وللتذكيـر فـإن الإسـلام حـرم وبشـكل واضـح جميع أشـكال الاتجار بالبشـر، فحرم اسـتغلال ظروف الإنسان المادية والصحية، والاعتداء على المستضعفين في المجتمع، وطرق الكسب غير المشروعة، والعلاقة الجنسية خارج إطار الزواج الشـرعي، كما حـرم كل مـا من شـأنه امتهان كرامـة الإنسـان، وجعله سـلعة ممتهنة لجمع المال.

ومما يجـدر ذكـره، أن «وثيقة مكـة المكرمة» والتـي صـدرت بموافقة أكثر من ١٢٠٠ شـخصية إسلامية، وبمشاركة أكثر من ٤٥٠ مفكر إسلامي يمثلـون كافـة المذاهـب السـنية والشـيعية، نصـت في «مادتهـا الأولـى» على أن «البشـرية علـى اختلافهـم ينتمـون إلى أصل واحـد، وهم متسـاوون في إنسـانيتهم»، ويشـملهم التكريم الإلهـي جميعـا، دون تمييز بالعرق أو النسـب، أو الديـن، أو المـال، فالكل سـواء أمـام القانون الإسلامي في الحفاظ على كرامتهم.

قال الله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَاهُـم مِّـنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُـمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّـنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ...». صدق الله العظيم.

المعجم
ودوره في تعليم اللغة العربية

د. مصطفى أحمد قنبر ـ مصر

■ لا مبالغة في الكلام أو بُعدًا عن الواقع حين نسلِّم بالقول: إنّ استخدام المعجم أضحى يضرب بسهم وافر في تنمية الرّأسمال البشري الّذي يتصل اتصالًا وثيقًا بأهداف التّنمية المستدامة التي تنشدها المجتمعات، وتخطِّط لها في برامجها خاصة الثّقافيّة والتّعليميّة، وكذا المؤسسات في برامج التّطوير المهنيّ وخطط رفع كفاءة منتسبيها؛ وإذ ذاك فاستخدام المعجم ليس أداة بحث في يد المتعلّم، أو الباحث اللّغوي، أو المشتغل بعلوم الشّريعة فقط ـــ كما يُتصوّر ـــ بل إنّ السياسيّ والدّبلوماسيّ والإعلاميّ والعسكريّ والطبيب والقاضي ... لَيُسَارع إلى هذا المعجم، أو لِنَقُل إلى هذا المسْعِف ليردّه إلى جادّة الصّواب، ويمده بما خفي من معانٍ وما توارى من دلالات...، خاصة بعض الألفاظ والتّراكيب التي تدخل ضمن تخصّصه، أو حتى التي تلتقطها أذنه أو ترمقها عيناه... والوقوف على إمكانية أن تلقى قبولًا أو صدًا في مجتمع ما، إنْ أخرجها من فيهِ أو سطّرها بقلمه، خاصة إن كانت تحمل معاني ودلالاتٍ عرفيّة تتباين من مجتمع لآخر. وكم أثار فضولَ كثيرين ـ وما هو بفضول؛ بل

هو شـوق ومتعة في آن واحد ــ لفظةٌ أو تركيبٌ سُـمِع لأول مـرة، أو سُـمع بضبـط مغايـر لما ألفُوه، فشـمّر كل منهم للتنقيب في خزانة هذه الألفـاظِ وهي المعجم؛ للبحـث عما يُذهب ظمأ المعرفة لديه.

وهنـا نجـد أيـادي المعجم تمتـدُّ بالعـون لكل هـؤلاء، خاصـة المعاجـم الحديثة التي بسـطتْ القـول لتنـاول المعاني الجديدة التي اكتسـتها بعـض الألفـاظ والتّراكيب إثر الطفـرة العلميّة الهائلـة والمتسـارعة التـي تعيشـها البشـريّة، ناهيك عن المعاجم المتخصّصة في بابها، ومنها ما قام بإنجازها ــ على سـبيل المثال ــ مجمع اللغـة العربيـة في القاهـرة، والتـي وصلت إلى أكثـر من عشـرين معجمًا متخصّصًـا في: الأدب والبلاغـة، والعلـوم الاجتماعيّـة، والرياضيـات والطبيعـة، والعلـوم التطبيقيـة، إضافـة إلـى معاجـم اضطلعـت بلـون خـاص مـن الثـروة اللفظيّة كمعاجم التعابير الاصطلاحيّة.

مـن هنـا كانـت العنايـة بـإدراج اسـتخدامات المعجـم في برامج تعليم وتعلّـم اللغة العربية للناطقيـن بهـا وللناطقيـن بغيرهـا؛ إذ يُعـدُّ المعجم مصدرًا أساسـيًّا من المصادر الرّئيسة التي تتصل بمادة التعلّم اتصالاً وثيقًا؛ شـأنه في ذلك شـأن مراجـع قواعد التّعليم الأساسـيّة في الصّرف، وفي النّحو، وفي قواعد الإملاء والتّرقيم... وغيرهـا. وتتميـز هـذه المصادر مـن غيرها في كونهـا المرجـع الـذي يفـزع إليه متعلّـم اللّغة والمتكلّـم بها، والباحث فيهـا أو فيما يتصل بها من فنون، إذْ هم على تواصل دائم بها؛ ومن ثمّ فلا تنتهي العلاقة بين هؤلاء وبين تِلْكُم المصادر بتحقـق الهـدف الذي يُسـعى إليـه، فالمعجم ــ مثلا ــ لا يسـتغني عنه طالب أو باحث، ولا تخلو منـه مكتبة خاصة أو عامـة، إذ يحتل مكانًا بارزًا ومتميـزًا بيـن مكوناتهـا، حتى بعـد أن دخلت الرّقْمَنـة إلـى عالم الكتب؛ بل إنّنـا لنجد مواقعَ خاصـة بالمعجـم دون سـواه، تتيـح للباحـث الوصول إلى هدفه بأيسر وأسرع سبيل.

لذا نجد المعجم يحتل مكانًا لا يعوضه غيره من المصـادر، بل لا مبالغة إنْ قلنا إنّ تعليم وتعلّم المعـارف الأخرى في بعض مراحلها ــ إن لم يكن كلّهـا ــ لا غنى له عـن المعجم، خاصة المعاجم

المتخصّصة والموسوعيّة، وكم لجأ معلمو التخصّصات الأخرى إلى معلم اللغة العربية ليبيّن لهم معنى لفظة أو تركيب وَرَدَ في كتبهم الدراسيّة حين يعوزهم الوصول إليه!

من هنا ظهرت الحاجة إلى تأليف معجم مدرسيّ متخصّص يكون في معيّة متعلّم اللغة العربية، وقد حرصت بعض وزارات التعليم في وطننا العربي على توفيره لكل طالب في بعض سنيّ الدراسة، بعيدًا عن المعاجم الكبرى التي يُرجأ استخدام الطالب لها إلى مراحل متقدمة في دراسة اللغة.

إنّ أهمية المعجم في ميدان تعلم اللغات ــ خاصة اللغة العربية ــ أمر لا حاجة إلى تقريره خاصة إذا علِمْنَا أنّ الاتجاهات التربوية الحديثة تؤكد على ضرورة التقليل من دور المعلّم في العملية التعليميّة والتركيز على الطالب وما يوفره لنفسه من وسائل تعينه على اكتساب وتعلم اللغة بشكل جيد وفعّال، والتّركيز على التّعلم النّشط، وهنا يتجلّى دور استخدام المعجم كإحدى هذه الوسائل خاصة إذا كان المعجم مصمّمًا على أسس علميّة وتربويّة تلائم حاجات الطلبة، ولكنّ هذا الأمر يلقي بتبعة ليست سهلة تناط بالمعلّم، إذ عليه عبء تزويد المتعلّمين بثقافة معجمية تعينهم على ذلك، لأن إهمال هذا الجانب الحيوي في التّربية اللّغوية لا يسبب عدم تمكن الطالب من استخدام المعجمات بشكل فعّال فحسب، بل يتسبّب في ظهور مفاهيم خاطئة عن طبيعة المعجم ووظيفته أيضًا.

وقد أثبتت كثير من البحوث والدراسات الميدانيّة أن استخدام المعجم كان له أثر كبير للحصول على رصيد مفرداتي لعدد كبير من الكلمات التي تسهم في تقدم الطالب في تعلّم اللغة، وشرح المفردات التي تُقدم في النصوص، ومعرفة الجموع الصحيحة للكلمات، ومعرفة مبادئ الكتابة الإملائية الصحيحة، وإدراك ما في العربية من الاختلاف بين النطق والكتابة، ومعرفة بعض الكلمات التي تستعمل في سياقات لا تناسبها، ومعرفة مصادر الكلمات، ناهيك عما يقدمه المعجم

للمشـتغلين بالترجمة حين يسعفهم بكمّ كبير من المترادفات والأضداد يسـتطيع المشّـتغل بالترجمـة انتقـاء المناسـب منهـا للسـياق واستبعاد غيرها.

ونظـرًا لما تحظـى به العربية من إقبال شـديد علـى تعلمها من غير الناطقيـن بها، فقد برزت الحاجة إلى تأليـف المعاجم المتخصصة لهؤلاء، نظـرًا لمـا يقدمه المعجـم في هذا السـياق من وظائف يمكن إجمالها فيما يأتي:

تقديـم النطـق السّـليم والاسـتخدام الصّحيـح للمفـردات: إذْ تُعـدّ المعاجم المرجع الأسـاس لضبط الكلمات، وقراءتها، والاستخدام الصحيح لـكل ضبط في سـياقه، وتعزيز النطـق الصحيح لبعـض المفردات التي اكتسـبها من معلمه أو من الوسـائط السّـمعيّة والبصريّة، خاصة تلك المعاجـم التي توفِّـر النطق الصّوتـي لمفردات اللغـة، وبعض المعلومات الصّرفيّـة والنّحويّة، وتأصيـل بعض المفردات؛ الأمـر الذي ينعكس أثـره علـى تطويـر مهـارات الاتّصـال الشّـفهيّة والكتابيّة عند المتعلِّم.

تنمية المفردات وتوسيعها: حيث توفِّر المعاجم للمتعلميـن إمكانيـة الوصـول إلـى مجموعـة واسـعة من الألفـاظ والتّعابيـر والمصطلحات، التي تنعكس على توسـيع معارفهم المعجمية والثّقافية، خاصة حينما يقف المتعلم في أنشطة التعليم والتعلم على مفردات غير مألوفة؛ الأمر الذي يساعد في بناء كفاءتهم اللغوية تدريجيًا.

تنميـة الفهـم القرائيّ: إذ تسـهم اسـتخدامات المعجم في تنمية الفهـم القرائي لدى المتعلم، حيث تسـاعد معاني المفردات والتراكيب التي يضمهـا المعجم بين دفتيه على الفهم الصحيح للمفردات وللجمل وللعبارات وللنصوص التي تقدّم للمتعلّم؛ مما يمكّنه من اسـتنتاج الأفكار التي يقـوم عليها النّـصّ، والغرض الـذي أراده المؤلـف من نصّه، والمعانـي الضمنيّة التي لم يصـرّح بها، والعلاقـات الدلالية بيـن المفردات والتراكيـب والجمـل، فضـلا عـن أوجـه التّأثير والتّأثر بين النّصوص... وغيرها.

تنمية مهارات التعلّم الذاتيّ والبحث: لا شك أن استخدام المعجم في تعليم اللغة، بل والمعارف الأخـرى يمكِّـن المتعلـم مـن تنميـة مهـارات التعلـم الذاتيّ والبحث، خاصة حينما يقف أمام جملة مـن المفـردات أو التراكيـب أو التعابير قد اسـتعصى عليـه فهم المراد بهـا أو لم يقنع بمـا قدم له من شـرح وتفسـير لهـا، أو حينما يطلـب منـه توظيف هـذه المفـردات في جمل أو نصـوص؛ هنـا يقـدم المعجم يد المسـاعدة والعون للمتعلّم.

تنمية كفاءة المتعلّم الثقافيّة: وهنا يمكن القول إنّ المعجم كتاب تتقاطع فيه كثير من المعارف وتتكامل، ففيه يقف المتعلّم على معارف شتى إسـلاميّة ولغويّـة وأدبيّة واجتماعيّـة وتاريخيّة واقتصاديّـة وسياسـيّة وعسـكريّة... تنتمـي لهـا حقـول المفـردات والتّراكيب وشـواهدها القرآنيّـة والحديثيّـة والشـعريّة والنثريّـة التي يضمّها ويكتنزها.

وختامًـا؛ فـلا غنى لمتعلم اللغـة عن المعجم، سـواء أكان المتعلـم ناطقاً باللغـة أم ناطقاً بغيرهـا، بـل أضحـى المعجـم هـو المنقـذ أو المسعف للباحث وللكاتب وللقارئ.

أنّ الاتجاهات التربوية الحديثة تؤكد على ضرورة التقليل من دور المعلّم في العملية التعليميّة والتركيز على الطالب وما يوفره لنفسه من وسائل تعينه على اكتساب اللغة بشكل فعّال

بعد زيارته له في مقره بمكة واعجابه بماحوى

أمين أكاديمية لندن :

أتمنى نقل متحف «السيرة النبوية» إلى بريطانيا

حوار: توفيق محمد نصر الله - السعودية

■ زار الأستاذ الدكتور الطيب علي أبو سن مقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وانتهزنا فرصة وجوده للتحاور معه في مجال التعليم والتربية. ضيفنا له مساهمات في تطوير المناهج التعليمية وخاصة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. شغل العديد من المناصب المهمة فهو الأمين العام لأكاديمية لندن الدولية وعضو الهيئة الإدارية العليا ورئيس قسم اللغة العربية والثقافة الإسلامية بأكاديمية الملك فهد بلندن.

وعمل ضيفنا وزيرًا بالإقليم الشمالي بالسودان في عهد الرئيس السوداني الأسبق جعفر نميري. ألف ٣٧ كتابا في تعليم اللغة العربية، وله مشروع رائد لعمل محتوى رقمي للمناهج التعليمية. وأسهم الدكتور الطيب بتأليف منهج قواعد اللغة العربية لشهادة لندن، وفي وضع منهج التربية الإسلامية لهذه الشهادة، إلى جانب إسهامات أخرى في إنشاء أكاديمية أكسفورد للدراسات العليا وتأسيس كليات

ومعاهد في دول عربية وغربية.

بداية نرجو إعطاء قراء مجلة الرابطة نبذة وجيزة عن شخصكم الكريم وخاصة فيما يتعلق بمسيرتك الأكاديمية والتربوية؟

من مواليد العام ١٩٤٠ ميلادية بمنطقة الرباطاب شمالي السودان، وقد نبع الاسم من مفتش بريطاني حيث كان ينادي جدي أحمد (بمستر ثين) وكان جدي يجمع بين ضعف الجسم وأصيل الاسم حيث كان فرعُ القبيلة من الرباطاب يُدعى بالضعيفاب.

أما فيما يتعلق بمسيرتي التعليمية فتبدأ بمدرسة الشريك الأولية منطقة أبو حمد، بربر الوسطى، مدرسة حنتوب الثانوية وجامعة الخرطوم كلية الآداب التي كانت مسكن نهضتي المعرفية حيث نلت البكالوريوس والماجستير والدكتوراة في مجال فقه اللغة العربية تحت رعاية أستاذي عبد الله الطيب رحمة الله عليه.

ما الدوافع التي قادتك للتخصص في اللغة العربية؟

عشقت اللغة العربية فتحكمت في مسار حياتي فبدأت معلماً لها. ورغم اشتغالي بالعمل الإداري مديراً للمكتب التنفيذي بجامعة الخرطوم، لم يغادرني حب العربية وعشق تعابيرها وإدمان البحث عن الصحيح المغمور وهجران الخطأ المشهور. عشقي لها قادني إلى عشق تعليمها للصغار فانضممت للإدارة التربوية إدارةً وتدريساً وتربيةً وحصدت خبرةً مهدت لي الطريق للالتحاق بأكاديمية الملك فهد بلندن.

هل لكم ان تحدثونا عن فترة تقلدكم منصب الوزير في حكومة الإقليم الشمالي في عهد الرئيس نميري؟

أخرجني قرار أهلي في شمالي السودان بتولي المنصب الوزاري في مجال الثقافة والإدارة، فخرجت من مجال التعليم لخمسة أعوام كانت مصدر تجربةٍ ثرةٍ في تقوية مهارة الحوار فقد كنت رائداً للمجلس الشعبي بجانب الوزارة حيث تُناقش قضايا الإقليم.

ألفت 37 كتابًا في تعليم اللغة العربية إضافة إلى مشروع محتوى رقمي للمناهج التعليمية

مـا الذي ألهمكـم لتأليـف الكتب الدراسـية في مجال اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

تجربتـي مع الأطفال والتلاميذ بأكاديمية الملك فهد بلندن قادتني إلى أن طريقة تعليم العربية بالأسـلوب الاتباعي الشرقي لا تناسب الناطقين بغيـر العربيـة؛ الأمر الـذي قادنـي لتأليف نهج يناسـب اسـتدعاء رغبة غير الناطقين بالعربية لحـب التعبير العربي بل عشـقه. وقد سـلكتُ في المـادة إعمال روح المنهاج سـلوكاً والمقرر أسـلوباً فكانت كتبي وهي سـبعة وثلاثون كتاباً عوناً لي لتحقيق حُلمي، فلاقت نجاحاً نادر النظير لأنهـا صادفت لدى الصغـار استحسـاناً، فكتاب النـص يؤتـي ثمـار المعلومة وكتـاب التمارين يرسخ معناها، وكتاب الطالب يؤكد مشاركته في صناعة الدرس وإتيانه أكل المقصود.

كيف ترى مسـتقبل تعليـم اللغة العربية لغير العرب في ظل التطورات التكنولوجية الحالية؟

هـذا السـؤال هـو مربـط الفـرس الـذي مـن منطلقه نبتت فكرتي عن تعليم اللغة لجيل من الطـلاب عشـق المعرفة الأثيريـة، وهام في حب التفاعل مع المعلومـة فأصابه الملل من رتابة الـدرس الذي يعتمد على حديث المعلم وإملاء الطباشيرة (talk & chalk). ولكي نقابل هذه الرغبة من المتلقي فإن تدبيج المناهج بالسبل الإلكترونية الحديثـة والتي اتبعناها في أكاديمية لندن الدوليـة لتعليم اللغة العربيـة للناطقين بغيرها إلكترونياً هو السـبيل الأمثل لاسـترعاء انتباه المتعلم وحضـهِ على الإقبال على التعلم بحبٍ وشغفٍ وراحةٍ في الاصطحاب.

مـا التوجهـات الرئيسـية لمشـروع المحتوى الرقمـي للمناهـج التعليميـة الـذي تعملـون عليه؟

التوجهـات الرئيسـة التي نعمل على السـير في طريقهـا تعتمد أساسـاً على تعميـق مفهومات الـدرس الثلاثـة: وهـي التدريـس والتعليـم والتربيـة، فلابـد من تضمين هـذه المفهومات وترسيخها في إطار الدرس، وتدريب المعلم على أدائهـا لتؤتي أكلها وتُهدي ثمارهـا، فالتدريس تعريف المقصود ظاهراً، والتعليم إدخال عنصر المقابلة، والتربية إسـهام المقصود في هندسـة السـلوك الـذي تمليـه الفضيلـة والتصالح مع النفس واحتـرام الآخر وحب الحـوار بل اعتناق مبدأ أن رأيي صحيح يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأٌ يحتمل الصواب.

كيـف كانـت الاسـتفادة مـن المناهـج وطرق التدريـس في البـلاد الغربيـة لتطويـر الأداء التعليمي بوجه عام؟

تجربتنا مع علماء التربية الهولنديين كانت ثَرةً وغنية. ثرةً بأبعادها التربوية، وغنية بمحتوياتها التوجيهيـة، فهـي تأخـذ في الاعتبار بيئـة التلقي المزروعـة في الطالـب، فهـذا الطالـب لا يتعدى أن يكـون سـمعياً أو بصرياً أو حركيـاً، فالطالب البصري يحـب المكتوب ويَمَلّ المسـموع من الـدرس، ويطلب الذهاب للحمـام عندما يطول الحديـث دون حاجتـه للذهـاب للحمـام، ومن هنا جاء وضع التلاميذ في مجموعات متجانسـة تتوحـد فيهـا مناطق اسـتقبالهم؛ ولعل التعمق في نفسـيات الطلاب هـو الذي يقود إلـى اختيار الكتاب المحبب والمنهاج المجرب، تحت إدارة معلم مدرب.

يتطلـع المهاجـرون العـرب والمسـلمون في البلـدان الغربية لتأهيل أبنائهـم لغويًا وغرس الهويـة الدينيـة والوطنيـة فيهم، إلـى أي مدى يمكنهم إدراك هذا الهدف وادامته؟

لا ريـب أن تحقيـق رغبـات أوليـاء الأمـور من العرب والمسـلمين المقيمين بالغرب يحتاج إلـى دور فعـالٍ للمنزل ومراقبتـه للابن والابنة مراقبـةً لصيقـة تجنبهـم الانـزلاق، وهنـا يأتي دور الارتقـاء بمحتـوى منهاجَـي اللغـة العربية والتربيـة الإسـلامية ليحتـلا مكان الصـدارة في السـلوك الأخلاقـي والتراثـي؛ وتحدثـاً بنعمـة الله كان لـي القـدح المعلـى في هـذا الجانـب، فموقعـي في أكاديميـة الملك فهـد ذلك الصرح

الـذي أعطى ومـا أكدى قد مكننـي من الاتصال بجهات المناهج فوجدت مقعداً أعطاني سـانحة وضع مقرر للتربية الإسلامية لِلَجنة الامتحانات تم اعتماده واسـتعماله، حيـث نقل المادة من سـطحيتها إلـى عمـق معانيهـا؛ ولكـي لا أطيل الحديـث مثلاً وجدت طبيعة الأسـئلة: كم ركعة في صـلاة المغـرب؟ وكم عـدد أركان الإسـلام؟ والانتقـال إلى فضل الصلاة والقول بأن الحديث عن الأركان لا يكفي من غير الحديث عن صاحب الأركان؛ وفي مجـال اللغة العربيـة وضعت كتاباً للمنهـاج اعتمدتـه المملكـة المتحـدة ويتـم تدريسه الآن عالمياً.

كيف ترى تأثير اسـهاماتكم في إنشاء أكاديميات ومـدارس خاصـه في بلادكم وفي البـلاد العربية وهل نحـن علـى أعتـاب المناهـج والمدارس الخاصـة علـى غـرار التعليـم الاسـتثماري في الغرب؟

إن حصيلة المدارس التي أسـهمتُ في إنشـائها داخل السـودان وخارجه قد جـاءت بنتاج أرضَى تطلّعـي رُقيـاً، وقابـل توقعـي واقعاً ملموسـاً، فحرصـي علـى تحقيـق مخرجـات التدريـس والتعليـم والتربية مـن وراء المناهج قد جعل مـن المـدارس التي أسـهمت في إنشـائها مثالاً يُحتذى للمدارس الحكومية التي غفل معظمها عن تعاضد أركان التدريـس والتعليم والتربية. ولعـل طبيعة المـدارس الخاصة التـي امتازت بالمرونـة في تنـاول التغيير قـد أورثتها صفات التفـوّق علـى المـدارس الحكومية والتـي غالباً مـا تركن إلـى رتابة المسـار. تلـك الرتابة التي أورثـت بُطئاً علـى طريق التغيير الذي تـتطلبه طبيعة الحياة البشـرية، ويقيني يتمثل في واقع تفوق التعليم الأهلـي الذي بدأ في احتلال موقع الصدارة في عقول أولياء الأمور وأولوياتهم.

مـا هـي النصائح التـي تقدمها للطـلاب الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية ولا سـيما في ظل ندرة المناهج والمعلمين الأكفاء؟

نصيحتـي لطـلاب تعلم اللغـة العربية وبخاصة الناطقيـن بغيرهـا هـي الانضمام إلـى المعاهد الحديثـة التي نهجت منهـج التعليم الإلكتروني فهي معاهدٌ قد أخذت في الاعتبار عنصر التشويق مـع الرحيل مـن مراتـع الرتابـة الموروثة من

تجاربنا مع «علماء التربية الهولنديين» علمتنا أن العمق في نفسيات الطالب يقود إلى اختيار الكتاب المحبب، والمنهاج المجرب، والمعلم المدرب

عوامـل التلقين التي تورث الملل وفقدان رغبة الإقبـال، فهـذه المعاهد علـى قلتها قـد أثبتت جدارتها وقدرتها على الانديـاح.

زرتم معـرض ومتحف السـيرة النبويـة بمكة المكرمـة فكيـف تـرون جهـود رابطـة العالـم الإسـلامي في خدمـة الإسـلام والمسـلمين ومبادراتها في الحوار الحضاري والثقافي؟

زيارتي لمعرض ومتحف السـيرة النبوية بمكة المكرمـة قـد بعثـت في نفسـي عوامـل أمـل وعمل نادرة المثـال، فالأمل يتمثل في مواصلة القائمين بأمر المشروع لهذا الجهد الرائع الذي جمع فمنع، جمع من عوامل المعرفة ما يملك القدرة على البقاء في ذاكرة الزائر بصورةٍ تورث الشـعور بمحاربة النسـيان للمواقـع والأحداث وبالقدر الـذي يلزم نياط القلوب حُبـاً وإعظاماً، ومنـع ذهـن الزائر مـن التفكير في بديـلٍ يرقى لهذا العـرض الذي فاق جمالـهُ كل تصورٍ، وعلا كل توقـع، أمـا العمـل فهو يتمثـل في نقل هذا الحصـاد نـادر المثـال إلـى البلاد الأخـرى لترى الأمم عبقرية أمة الإسلام في مجال الحكاية وعن تراثٍ تعيش بصماته على جبين تاريخ البشرية. ولعـل تحقيـق أملـي بميـلاد هـذا المعـرض والمتحـف في مدينة لندن قلـب العالم النابض هو تحقيق عبقرية الإنسـان العربي المسـلم في أرقـى صورهـا، وأعظـم وجوهها المضيئة بنور الحضارة ونهضة العقل البشري.

إن رسـالة أكاديمية لندن لتعليم اللغة العربية للناطقيـن بغيرهـا إلكترونيـاً تجـدُ في معـرض السـيرة النبوية ومتحفها سـنداً لا يدانيه سـندٌ في خدمتها وتحقيق بل ترسـيخ حبّ لغة القرآن وتجسيد دورها في بناء شخصية الإنسان ورعاية القيـم والموروثـات النابعة من تجربة سـلوك تربوي، ولسانٍ عربيٍ مبين.

عمارة المساجد التقليدية في إفريقيا

بقلم: الزبير مهداد ـ المغرب

■ أحـدث الإسـلام نقلة نوعية في حيـاة وثقافة الأفارقة، فقد أقبلـوا عليه بقناعة قوية، وعاطفة جياشـة، فحسـن إسـلامهم، وتغيـرت حياتهم، وتحسـنت أحوالهم، وانخرطوا في شبكة علاقات قوية اقتصادية وثقافية مع دول الجوار وشعوب شمال إفريقيا والعالم الإسلامي والعربي. وكان تمسـك الأفارقـة بالعبـادات وإخلاصهـم فيهـا ملحوظـا للعيان، لمن عايشـهم، أو زار بلدانهم، وشـاهد كثرة المساجد والمصليات وانتشارها، وتعاونهـم في بنائهـا، بل وتنوعت هـذه المعابد لتسـتجيب لحاجاتهم وتراعـي ظروفهم، فعرف المسـلمون الأفارقـة أنواعاً مـن المعابد، نذكر منها:

• «ديامیـو» أي الجامـع: وهو المسـجد الجامع المركـزي، يجتمعـون فيـه للصـلاة معًـا يـوم الجمعـة. ويتطلب بنـاؤه شـروطاً معينة؛ أولها إذن الإمـام وموافقتـه، لأنـه لا يمكـن أن يكـون هناك سـوى جامع واحد في المركز الذي يسمى «ميسـيدي»، إلى جانب شـروط تقنيـة تتعلق بمساحته وارتفاعه ومرافقه.

• تِبّيـر (Tippere) أو تُقُـورو (togorure) أو مِسِكُنْ (misikun): وهو مسجد بسيط للقرية الصغيـرة للفلاتـة، لا فـرق بينه وبين مسـاكن عامـة الناس، فهو بنـاء طيني صغيـر دائري في الغالب، له سـقف من القش، وهذه المسـاجد كثيرة في فوتا جالون.

• «نجويـرو» أو «نيغيرو»: هـي أماكن صغيرة للصـلاة، بسـيطة الإنشـاء، صغيـرة المسـاحة، بأرض رملية أو مغطاة بالحصى، محاطة بسياج متواضـع مـن حجـارة، أو أغصـان، أو أشـجار البرتقال.

كل القرى تتوفر على أماكن الصلاة المسـماة «نغيـرو» باللغـة الفولانيـة، تضمـن للسـكان ممارسـة شـعائرهم الدينية. كما تنتشـر هذه المسـاجد خـارج التجمعـات السـكانية، علـى

الطـرق التجاريـة، أنشـأها في غالـب الأحيـان الحجـاج تطوعا منهـم، وتحظى بتوقير السـكان واحترامهـم، وتعد بمثابة مؤسسـات تواصلية، يؤدي فيها الرعاة والتجار المسافرون الصلوات، ويجتمعون للدردشة وتناول الطعام أحيانا.

• الديـور: وهـي المصليات العائليـة الصغيرة، والتي تكون بشـكل حدوة حصان بفتحة تتراوح مـن متـر إلى متريـن. تحيط بها الأحجـار لإبراز حدودهـا، حيث يصلي رب الأسـرة، حين تتعذر عليه الصلاة في المسجد.

عمارة المساجد الجامعة «دياميو»

تمسـك الأفارقـة بشـرط بنـاء مسـجد جامـع واحد في مركز القرية «ميسـيد»، بعد اسـتئذان وموافقـة الإمام أو من يقـوم مقامه. يبدأ البناء أولاً بحفر أساسات بعمق ٦٠ سم، في شكل دائرة قطرها ثلاثـة أقدام، يتم البنـاء بعمل ما يعرف بـ «المَدَامِيـك» التي تبنى بالطيـن أو بالحجارة والطين معاً.

يجـب أن يكـون المسـجد الجامـع «الدياميو» واسـعاً بما فيـه الكفايـة، مناسـباً لإقامة صلاة الجمعة، واستيعاب المصلين. يتألف من غرفة مربعـة مبنيـة مـن التـراب والمـلاط، ويكـون الارتفاع ثابتاً بين سبعة وعشرة أذرع، بالقياس المحلـي، أي ثلاثـة أمتـار ونصـف إلى خمسـة أمتـار. طـول كل ضلع يتم تحديـده وفقًا للعدد المحتمـل للمصلين. مسـجد «دينغراي» يبلغ طـول ضلعه عشـرة أمتـار، ومسـاجد «تيمبو» و«فوكومبـا» و«لابـي» أضيق قليلاً. يتـم تقوية البنـاء بالعيدان والأخشـاب من فـوق المدخل، ومن كل ناحية في البناء؛ وهذا يساعد في تماسك مـادة الطيـن في البنـاء وبالتالـي يُقَـوّي المبنى ويربط بين وحداته وأجزائه.

بعـد اكتمال عمليـة البنـاء بالحجـارة والطين، لارتفـاع متـر ونصـف مـن سـطح الأرض، يتم إنشـاء السـقف، ثم تنجز قبة مخروطية الشكل

بالعيـدان، مغطـاة بنسـيج مـن القَـشْ، تحيط بالغرفة المربعـة وتخفيها أحيانا. وينشـأ رواق داخلي جميل بامتداد جوانب المسـجد، يشكل عازلا حراريا وصوتيـا. تكون هذه القبة في بعض الأحيـان قطعـة واحـدة كمـا في مسـجدي بيتـا وتيمبـو؛ أو تتكـون أحيانًـا مـن دوائـر متراكبة من القش، توضع الواحدة حول الأخرى بشـكل تصاعدي كما في مسجد لابي.

جمال البساطة

حافـظ الأفارقـة على الاسـم العربـي للمحراب، كأحـد المكونـات المعماريـة للمسـجد، لكـن المحـراب الإفريقـي مجرد مـن الفخامـة، فهو في أكثـر المسـاجد مجرد حفـرة في الجدار، جهة القبلـة، يقـف فيها الشـيخ لإمامـة المصلين في المسجد الجامع، أما في المسجد العادي فيتحدد المحراب بحاجزين من الأخشاب، بينهما بساط صغيـر للإمـام، ويسـتدل على اتجـاه الكعبة في المقـام بإشـارة توضـع في مـكان معيـن يراها جميع المصلين.

أمـا المئذنة (سـارو) (Sarro) فهـي عبارة عن مرتفـع صغير مبني بالآجر والطين، غير ملتحم بالمسـجد، ويتـراوح ارتفاعـه بيـن متـر واحد وثلاثـة أمتـار. يصعـد المـؤذن «السـالي» إلـى المئذنة بواسطة درج خشبي، أو سلم.

والمنبـر أو «الجنجونـال» موجـود في المسـجد الجامـع، وهو عبـارة عن دكة مسـاحتها ذراعان مربعـان أي متـر مربع واحـد، وترتفـع إلى ما يقـارب المتـر أيضا، يلقـي عليها الإمـام خطبته يوم الجمعة.

والإضاءة تتم بالشـموع المحلية والسـرج التي يجلبها المصلون أنفسهم. ولم يكن مقبولا تزيين المساجد بأية زخارف أو نقوش في الجدران، تبعا لقاعدة البساطة في البناء الإفريقي.

عادة ما تكون أرضية المساجد مبطنة بالحصير. والنسـاء هـن اللواتي يتولين تنظيف المسـجد ورعايتـه، وفرشـه، وتبخيـره بإحـراق النباتات العطريـة، أو بالبخـور، وتغييـر مـاء الوضوء في المغاسل. وكل شهرين يقمن بتبييض الجدران من الداخل.

بجانـب المسـجد، داخـل محيطـه، وفي بعـض

الأحيـان خارجـه، يقـام كوخـان أو ثلاثـة أكـواخ صغيـرة تسـمى «دياريـردو» أو «ديـارودو» أو «ديـان جيـردو». تعد مرافـق تابعة للمسـجد، بمثابـة قاعات اجتماعات ودراسـة للمتعلمين، والمتعبديـن، يلتقون فيها قبل وبعد الصلوات، للدردشـة حـول قضايـا دينيـة أو اجتماعيـة، وللاسـتماع إلـى تـلاوة القـرآن، أو لروايـة ومدارسـة الحديـث، أو لقـراءة الأوراد وأهمهـا «دلائـل الخيرات». وفي هـذه الأكواخ أيضا، يردد المعتكفـون فيهـا علـى التعلم الدينـي الأمداح ليلة الجمعة.

تحظـى هـذه المؤسسـات التعليميـة الملحقة بالمسـاجد بعنايـة المحسـنين «كرامكـو» (أي الكرمـاء) والعلماء المحلييـن «مرابط»، الذين يتفقدونهـا كل حيـن بالزيـارات، وتقديم الدعم المادي اللازم، لرعايـة طلبتها على تعلم القرآن والعربيـة والثقافة الإسـلامية، وتحفيزهم على ذلك، بالوفاء باحتياجاتهم المعيشية.

تقاليد البناء وطقوس الاحتفاء

جرت العادة أن يتشـاور العلمـاء «المرابطون» وأعيـان القريـة والمحسـنون «كراموكو» حول موقـع المسـجد، ويقررونـه فيمـا بينهـم، ثـم يرفعـون الأمر إلى الإمام، ويتم اتخاذ القرار بعد عدة مناقشـات ومشاورات، ثم يتم تعيين إمام المسـجد المرتقب بناؤه، ويعهد إليه بالإشراف علـى البناء وتتبعـه، ومراقبة أشـغاله. في حين يقـوم زعيم القريـة بتعيين عامل بنـاء رئيس، يسـير الورش، يشـرف على العمل ويوجهه، أو يتولاه بنفسه.

لا يوجد سوى البَنّاء الرئيس، ومساعديه، الذين يتقاضـون أجـرًا على عملهـم، وهـم في الغالب محترفون للبناء، متفرغون له، يتم استقدامهم مـن المدن من أجل الإنشـاءات الكبيرة. وخلال الأيـام التـي يقضونهـا في العمـل، يتولـى أهالي القريـة إطعامهم وضمـان محـل إقامتهم، إلى حين انتهائهم من الأشـغال، حيـث يصرف لهم رئيس القرية بعض الأبقار نظير عملهم.

ويشـترك السـكان بالعمل، يستحضرون الآيات والأحاديـث الـواردة في فضـل بنـاء المسـجد والمشـاركة في ذلـك، ويقتـدون بالسـلف، ومشاركة الصحابة في بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسـلم. يشارك الجميع، كبارا وصغارا، ذكورا وإناثا، كل حسـب طاقتـه وقدرته، يعمل الشـباب في نقل مـواد البناء مـن حجارة وقش وخشـب، وتعمل النسـوة في نقل المـاء، بينما يقـوم الشـيوخ بإعداد المـلاط، ولا يأخذ أحد أية أجـرة علـى عمـل، إذ يعمل الجميـع لوجه الله، طلبا للأجـر والثواب من الله تعالى، فالكل يبذل مـا يقـدر عليه من أجـل إنجاز بيـت الله. ولكن الإمـام والأغنيـاء، يقدمـون للعمـال والبنائيـن مـا يقيـم أودهـم، حتـى تنتهـي أعمـال البناء. ويحتفل الأهالي أثناء العمل برقصات بالطبول، وينحـرون الذبائح، ويوزعـون لحومها على أبناء البلـدة. ويتجدد النحر في كل مرة يعاد فيها بناء المسجد أو ترميمه.

يتنافس السـكان في العمل لأجل بناء المسـجد، ويتنافـس الموسـرون والمحسـنون في توفيـر

التغذيـة لهم طيلة أيـام البنـاء، وتحمل نفقات الأشغال.

بساطة ووظيفية العمارة التقليدية

تـؤدي المسـاجد أدوارا ووظائف هامـة، دينية، وتعليميـة، وتواصلية اجتماعيـة، تعزز الروابط بين السـكان، وتحقـق الألفة بينهم، وتسـهم في نشر وتبليغ الأخبار التي تهم القرية.

هذه الوظائـف خلقت التحاما متينا بين الأهالي والمسـاجد، وهـو الـذي وجـه العمـارة الدينية التقليدية هذه الوجهة المميزة، وجعلها تعتمد ثلاثـة شـروط لا محيـد عنهـا، وهـي البسـاطة، والوظيفية، واستخدام المواد الطبيعية.

البساطة

العمـارة التقليديـة الدينيـة في إفريقيـا تتوخى البساطة، في تصميم بيئة ذات بعد روحي، يحقق اندماجـا بيـن الإنسـان والمكان، ويخلـق تكاملا وتناسـقا بيـن كل مكونات التصميـم، لا يتخلى عـن الجمال، لكنـه يحقق الجمال وفـق التصور المحلـي لمفهومـه. الـذي تترجمـه البسـاطة، التي توفر الهدوء والسـكينة الروحية في أحضان المكان الموقر.

هـذه العمارة لا يعتمـد في بنائها التوهج الفخم، بـل تنفـر مـن الزخـارف وكل مظاهـر البـذخ، فهي، وإن كانت ضخمـة في حجمها، فإنها تتميز ببسـاطتها، وحين تلتقي الضخامة مع البساطة، تخلق أثرا سحريا في النفس.

بسـاطة الإنشـاء، تمتـح مـن الثقافـة المحلية التي تحبذ التقشـف والزهد والتواضع والليونة، مبـدأ في الحيـاة الدينيـة عامـة، وتبتعـد عـن كل مـا يشـغل بـال المصلـي عن الخشـوع في العبـادة، حتـى المحراب نفسـه، فهـو خال من الزخارف. فالبناء بـكل مكوناته، يعتمد الخطوط المستقيمة، النظيفة، النقية، واللينة.

الوظيفية

إن العمـارة التقليديـة تؤطرهـا القيـم الثقافية والظـروف المناخية التي تتجسـد فيها بوضوح، من خلال بسـاطتها، ووظيفيتها. فكل جزء منها ذو وظيفة محددة، مسـتغلة بشكل جيد، بعيد عـن أي هدر للإمكانـات والمـوارد الطبيعية، أو الفضاءات الجغرافية، لذلك جاءت هذه الجوامع عموما، متشـابهة في شـكلها، تشترك في حجمها الضخـم، وعناصرهـا. تسـتجيب هـذه العمارة للحاجـات الضروريـة للسـكان، وكل مكوناتهـا يحكمها الشرط الوظيفي قبل الشرط الجمالي.

اعتماد المواد الطبيعية المحلية

تتخـذ من البيئة المحلية كل مواد البناء، فمن التراب تتخذ الجدران، وتلبس، وتركب السقوف. أما الخشب، فاعتبارا لمزاياه ومقاومته لعوامل التلـف، فيسـتعمل لدعـم الجـدران وتمتينها، كمـا تسـتعمل الأغصـان الرقيقـة مـع القش، لصنع القباب، بينما الحجارة تسـتعمل حسـب المتطلبـات وأحيانـا أساسـا للبنـاءات، وهـذه المواد تسـتخدم في شـكلها الطبيعة الخام، دون تحويلهـا، أو إخفاء مظهرها، أو تغيير ملمسـها، لأجل تعزيز الشـكل الأصلـي والجمال الطبيعي للمواد.

فالعمـارة التقليدية تعتمد علـى مواد محلية، وتكتفي بما هو متاح منها، كما تعتمد على اليد العاملـة والمهـارة المحلية، ضمانا لاسـتقلالها وتحقيقا لاكتفائها الذاتي. كما يضمن اسـتخدام هـذه المواد توفيـر الدفء في الفصـول الباردة، والبـرودة في الفصـول الحـارة، بشـكل طبيعي ولطيف.

قيمة البناء التقليدي

يتـم اليوم، إعادة بناء عدد من هذه المسـاجد، بمـواد بناء صناعية حديثة، أساسـها الإسـمنت والحديـد، وغيرهمـا، ووفـق النمـط المعماري الآسـيوي، أو علـى نمـط يجمـع بيـن العمـارة الآسـيوية وبعـض معالـم العمـارة المحليـة، لكـن هذا التحديث الذي أصبح ينتشـر في البلاد الإفريقية، والبناء الإسمنتي الذي أضحى يكتسح القرى اكتساحا، ينذر باختفاء التراث المعماري المحلـي، والتقاليد العريقة والعـادات، التي لم تكن مجـرد طقوس ومواد بنـاء، بقدر ما كانت تراثـا ماديـا مهما، ينطـوي على قيـم التضامن والتسـامح، والتكافـل، والميـل إلى البسـاطة، وحسن تدبير الموارد الطبيعية، التي يرسخها في كل المشـاركين في البناء، وإيمان روحي عميق، يتجاوز المظاهر المادية المعاصرة الزائفة.

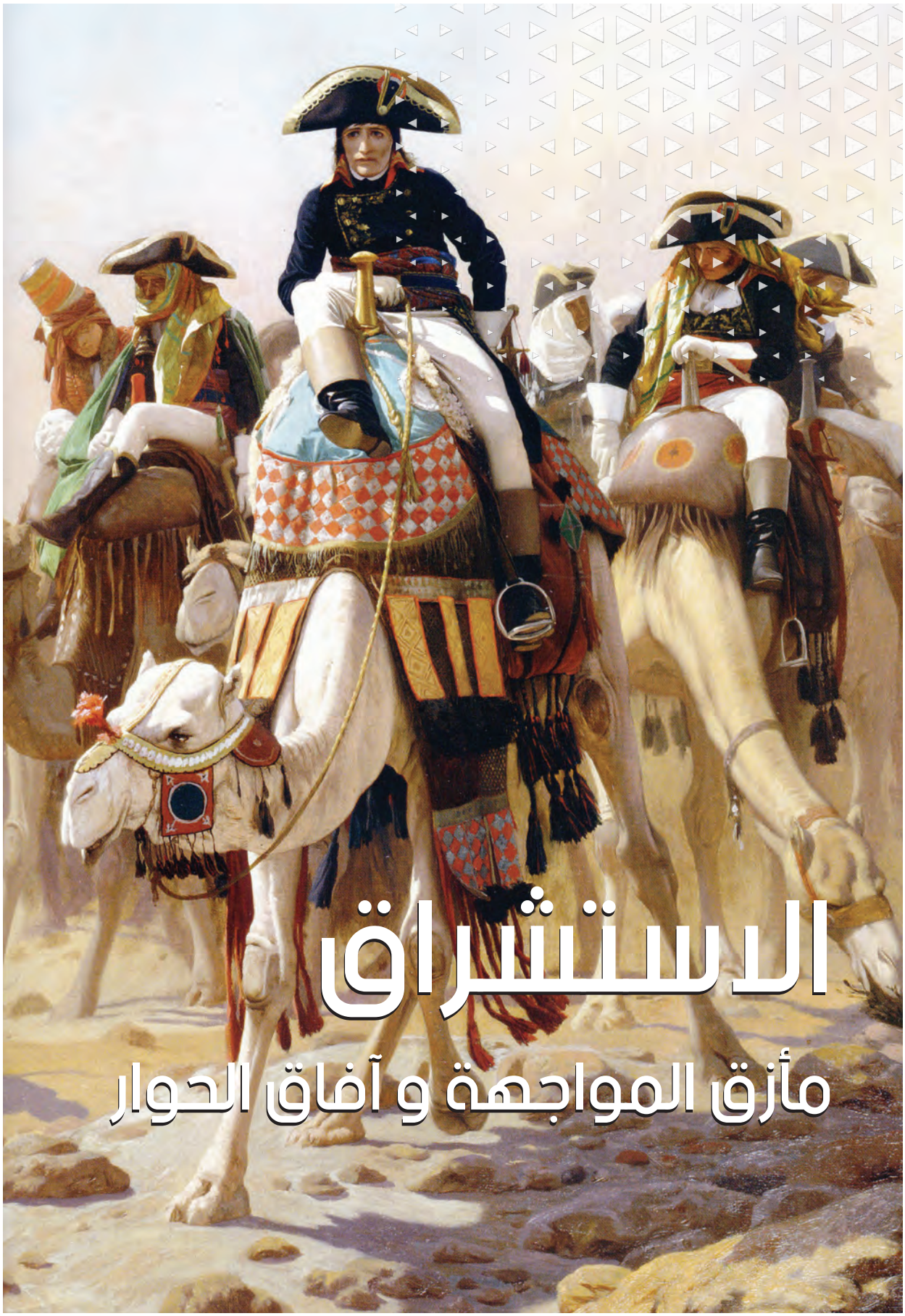

الاستشراق

مأزق المواجهة و آفاق الحوار

▣ تعدّدت المقاربات المتعلقة بدراسة ظاهرة «الاستشراق»، وتحليل أبعادها، وتداعياتها على الشعوب غير الأوروبية، وفي هذه المقالة نتناول «الحوار» بوصفه مقاربة للتعاطي مع الإشكالات المنهجية والتاريخية التي يمر بها الاستشراق سواءً بوصفه ممارسة أكاديمية محضة، أو بوصفه اتجاهًا فكريًّا له سماته الخاصة.

ومع أنّ الاستشراق، ظاهرةٌ طالت الشرق بحضاراته المختلفة عرقيًا وثقافيًا ودينيًا، إلا أننا سنركز في هذه المقالة الموجزة على العالم الإسلامي، ليس فقط لأنّ اهتمام الاستشراق به كان أكبر وأوضح، وإنما لأنّ الحوارَ معه، في السياق الاستشراقي، يحمل دلالاتٍ خاصة تتجاوز النواحي العلمية والفكرية إلى الدواعي العملية المتعلقة بتعايش الحضارات المختلفة في إطار من السلام والتفاهم والاحترام المتبادل.

الزبير عبدالله الأنصاري - جدة

أولًا: الاستشراق.. المفهوم وامتداداته التاريخية

يحيل مفهوم "الاستشراق" في أبسط تعاريفه إلى مختلف أوجه التناول العلمي والتاريخي والأدبي للشرق وحضاراته في أوروبا والغرب عمومًا.

وقد ظهرت البوادرُ الأولى للاستشراق في وقت مبكر نسبيًّا، مدفوعة برغبة الأوروبيين في الاستفادة من المعارف العلمية والفلسفية لدى العرب، ومواجهة ما يتصورونه خطرًا على وجودهم نتيجة للتمدُّد الحضاري الإسلامي على حدود أوروبا، والاتصال المباشر بين الجانبين في أعقاب الفتح الإسلامي للأندلس.

ويشير جيرالد جيمس تومر في كتابه "حكمة الشرق وعلومه: دراسة العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر" إلى أنَّ اهتمام الأوروبيين عامَّة والبريطانيين خاصة بالعربية وعلومها بدأ في أواخر القرن التاسع الميلادي حين قامت الدولة الأموية في شبه جزيرة أيبيريا، وأنشأ المسلمون هناك جامعة قرطبة وزوَّدوها بمكتبة ضخمة، ما أدَّى إلى ازدهار العلوم، ولا سيما الرياضيات والفلك.

وكما يُبيّنُ تومر، فقد ارتبطت دراسةُ العربية وعلومُها في أوروبا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر بالفئات العليا في المجتمع، حيث أصبحت الدراسات العربية "غاية الباحثين الغربيين، والمعلمين الإنجليز، وخاصَّة أولئك الذين يقومون على تربية أبناء القصور الملكية، وتثقيف موظفي البلاط".

وخلال القرون الثلاثة التالية، أخذ "الاستشراق" منحى رسميًّا فتأسَّس أول كرسي للعربية عام 1539م في الكوليج دو فرانس التي كانت قد أنشئت حديثًا في باريس، وفي جامعة أكسفورد ببريطانيا ظهر كرسي اللغة العربية في عام 1638م، وكان المستشرق إدوارد بوكوك (1691-1604م) أول من شغله.

ونشطت حركة الاستشراق خارج حدود الجامعات والمجال الأكاديمي بمفهومه الضيق، فظهر في بريطانيا المحامي والمستشرق جورج سال (1736-1697م) الذي أنجز واحدةً من أولى التراجم المكتملة لمعاني القرآن الكريم في أوروبا، كما ظهر في ألمانيا ج. ج. رايسكه (1774-1716م) الذي كرَّس حياته لدراسة الأدب والتاريخ العربيين، وعمل على إخراج الدراسات العربية في ألمانيا من النطاق الضيق للدراسات الدينية التي كانت حتى ذلك الحين محصورة فيه.

وخلال القرن التاسع عشر الميلادي، ومع توسُّع القوى الأوروبية خارج حدود القارة، ظهرت الاتجاهات الثلاثة التي ميَّزت، إلى حد

كبيـر، ظاهرة "الاستشـراق" حتى العصر الحاضر. وكمـا يُوضِّـح مكسـيم رودينسـون، وهو بنفسـه مستشـرق بارز، في الكتاب الاستشراقي الجماعي "تراث الإسلام"، فقد تمثَّلت هذه الاتجاهات في:

1 - الاتجـاه النفعـي الإمبريالـي الملـيء بالتفوق الغربـي والازدراء للحضـارات الأخـرى ومحاولـة طمسـها وإحـلال الحضـارة الغربيـة مكانهـا، كما حصل في شبه الجزيرة الهندية حين عملت القوى الاسـتعمارية البريطانيـة علـى اجتثـاث الثقافات الإسـلامية والهنديـة الكلاسـيكية على حد سـواء، وتحويـل النظـام المدرسـي الهنـدي بأكملـه إلى النظام الإنجليزي.

2 - الاتجـاه الرومانسـي الـذي يصـور "الشـرق" باعتبـاره موطنًـا للغرائـب (exoticism)، وقـد ظهـرت ملامـح هـذا الاتجـاه بوضـوح عنـد أعلام الحركـة الرومانسـية في الآداب الأوروبيـة مثـل الشـاعر الألماني يوهان غوتـه (1749-1832م) في "الديوان الشرقي الغربي".

3 - الاتجـاه العلمـي الـذي انصـبَّ معظمـه على دراسـة العصـور الماضيـة، وتحقيـق نصوصهـا ومخطوطاتها (philology) وترجمتها، مع العناية بكتابة الأبحاث حولها، ووضع المعاجم اللغوية.

وقد كانـت لهذا الاتجاه محاضنـه الأكاديمية مثل "مدرسـة باريس للغات الشـرقية" التي تأسَّست في 1795م، كمـا كانـت لـه جمعياتـه ودورياتـه المتخصصـة، حيـث تأسَّسـت "جمعيـة باريـس الآسيوية" في عام 1821م، وفي عام 1823م أصدرت الجمعيـة دوريتها باسـم "المجلة الآسـيوية"، وفي بريطانيا ظهرت "مجلة الجمعية الآسيوية الملكية لبريطانيا العظمى وإيرلندا" في عام 1834م، وذلك بعد تأسـيس الجمعية نفسها اعتبارًا من 1823م. وشـهد العام 1842م تأسيس "الجمعية الشرقية الأمريكيـة" التي كان لها بدورهـا مجلتها الخاصة، كما تأسسـت مجلة "الجمعية الشرقية الألمانية" في عام 1849م.

وصنـف المـؤرخ والصحفـي الأمريكـي لوثـروب سـتودارد (1883-1950م) مؤلفـاتٍ عديـدة عن الإسـلام كان لهـا تأثيـرٌ كبيـرٌ في أوسـاط الجمهور الأمريكي والغربي بصورة عامة، ومن أبرزها كتابه "العالم الجديد للإسـلام"(The New World of Islam) الذي يصور، كما يقول رودينسون، العالم الإسـلامي في صورة "عدوانية منفرة قوامها جهل ووحشـية لا يكاد يقدر علـى كبح جماحهما دين أو عرف أو نخبة مستنيرة قليلة".

وأسـهم هـذا النوع مـن الأعمال الاستشـراقية في تكريس صورة العالم الإسلامي ليس فقط باعتباره مقابـلًا حضاريًّا للغرب، وإنمـا أيضًا بوصفه مناوئًا وخصمًا تجب منازلته، وذلك في إطار ما عرف فيما بعد بنظرية صراع الحضارات.

ثانياً: الاستشراق.. الأزمة ومقاربات التجاوز

في ظـل هـذا الاتجاه، بـدأ الاستشـراق يواجه أزمة معرفيـة، خصوصًا مع انحسـار موجة الاسـتعمار منذ منتصف القرن العشرين، وبدء مراجعة الآثار الفكرية التي خلَّفها الاستعمار.

في إطـار هـذه المراجعـة التـي أجراهـا باحثون في الغرب والشـرق، تعرَّض "الاستشـراق" في شقيه الخطابي والمؤسسـاتي لانتقادات عديدة تتلخَّص في افتعال وتعميق الفجوة الحضارية بين الشـرق والغـرب، من خلال اختـزال حضاراتـه، وإظهارها بصـورة دونيـة تفتقـر إلى الرقـي الثقـافي، إضافةً إلـى توظيـف المعرفة الاستشـراقية في مشـروع الهيمنـة الاسـتعمارية الغربيـة ومحاولـة إعـادة إنتاج "الشـرق" وفقًا لأسـبقيات غربية تعزز هذه الهيمنة وتعمل على استدامتها حتى في ظل غياب السيطرة السياسية المباشرة.

وكان لهـذه الانتقـادات تداعياتُهـا الكبيـرة علـى "الاستشـراق" والمهتمين به في الغرب وفي العالم الإسـلامي على السـواء، ففي الغـرب حاول بعض المستشـرقين إسـقاط مصطلـح "الاستشـراق" جملـة وذلك خلال انعقاد مجلس المستشـرقين الدولـي في باريـس صيـف 1973م، وهـي محاولة وإنْ لـم يُكتـب لهـا النجـاحُ إلا أنها صـوَّرت بعمق مـدى إحسـاس المنتميـن لهـذا الحقـل بالأزمة المنهجيـة التي يواجهها، وضـرورة تغيير عنوانه، تمهيدًا لتغيير مضامينه.

أمَّـا في العالـم الإسـلامي، فقـد ظهـرت جملة من المقاربات التي تسـعى للتعاطي مع الاستشـراق والإشـكاليات المنهجيـة المرتبطة بـه، أبرزها، في رأينا، هذه الثلاثة:

الأولى: المقاربة النقدية التي تتَّبع آحاد المسـائل والقضايـا التي تناولها المستشـرقون في كتاباتهم عـن الإسـلام ومصادره، للـرد على ما أثير بشـأن

هذه المسـائل والقضايا من مغالطات وشـبهات، وإيضاح الحق فيها.

الثانية: مقاربة "الاسـتغراب"، وتدعو إلى دراسـة منهجيـة للحضـارة الغربيـة مـن خـارج هـذه الحضارة، في نوع من "الاستشـراق المضاد"، الذي يسـعى إلـى إخضـاع الغـرب لدراسـة تشـريحية مفصَّلـة، وذلك بهدف فهمه، وتعزيز الاسـتقلالية المعرفية للذات الإسلامية في مواجهته.

الثالثة: مقاربة "التحيُّز" التي تسـعى للكشف عن مظاهر تحيز الدراسـات الاستشـراقية، لسياقاتها التاريخيـة والثقافيـة، وذلـك في إطـار نقـد عـام للمركزيـة الأوروبية، وما أدَّت إليه هذه المركزية مـن محاكمة حضـارات الأمم الأخـرى إلى معايير مستمدَّة من الثقافة الأوروبية ومصادرها الدينية والفلسـفية، دون مراعـاة، في كثيـر مـن الأحيان، لحق الاختلاف الحضـاري، وضرورة فهم كل ثقافة في إطار آلياتها ونظمها المعرفية.

ومن هنا، ندعو في هذه المقالة إلى اعتماد مقاربة جديدة في السياق الإسلامي تجاه الاستشراق تُركِّز علـى "الحـوار"، بـكل ما يعنيـه ذلك مـن تواصل مباشـر علـى المسـتويين الشـخصي والجماعي في إطـار ثنائية جديدة تقوم علـى الذات في مقابل الـذات، وليـس الذات في مقابـل الموضوع، وذلك لتعزيـز التفاهـم بيـن الجانبيـن ودرء المخاطـر العمليـة للقطيعـة المعرفيـة، واسـتمرار النمط الحالـي من البحـث القائم على دراسـة كل طرف للآخر دون جهد تواصلي حقيقي.

ومـن هنـا يصبـح الحـوار ضـرورة حتميـة، لأنَّ إشـكالية "الاستشـراق" لـم تعـد مقتصـرة علـى القضايـا النظريـة المتعلقـة بمسـألة تمثيـل الحضـارة الإسـلامية بعلومهـا ونصوصهـا، ومـا إذا كان هـذا التمثيـل أمينًـا أم لا، وإنمـا أصبحت لهـا تداعياتُهـا العمليَّـة علـى السَّـلام والتعايـش بيـن الـدول والشـعوب، لا سـيما في ظـل تحـول الاستشـراق ونتاجه المعرفي إلـى عنصر رئيس في صياغة سياسـات الدول الغربية واسـتراتيجياتها تجاه العالم الإسلامي.

ثالثًا: الحوار ومعالجة أزمة الاستشراق

تتمثـل المقاربـة الحواريـة التـي ندعـو إليها هنا في التواصـل المباشـر والفعَّـال بيـن الدوائـر الاستشـراقية في أوروبا والغرب من جانب، وبين

الدعوة إلى اعتماد مقاربة جديدة في السياق الإسلامي: تجاه الاستشراق تُركِّز على «الحوار»، بكل ما يعنيه ذلك من تواصل مباشر على المستويين الشخصي والجماعي

العلمـاء والباحثين في العالم الإسـلامي من جانب آخر. وهـذا التواصل لـه إشـكالياته وقضاياه التي ينبغي التوصل إلى توافق بشأنها، وله أيضًا قنواته التي ينبغي أنْ يتم من خلالها.

بالنسـبة للقضايـا، فإنهـا تتركز، بحسـب رأينا، في هذه المحاور الثلاثة المتداخلة،

وهي: المنهج، والتمثيل، والقيم.

1- المنهج

يُعنى هذا المحـور بالحوار حول القضايا المتعلقة بالبحث الاستشـراقي وشـروط إنتـاج المعرفة في الدراسـات الإسـلامية، أو بعبارة أخـرى، الضوابط التي ينبغي للدراسـات المتعلقة بحضارة الإسلام وتراثـه التقيُّـد بها لتقدير هذا التـراث، وإدراك ما يمثلـه من قيمة معرفيـة، وإضافة مهمة للتراث الإنساني.

وبملاحظة الدراسـات الاستشراقية، نجد أنَّ كثيرًا منهـا تعاني اختـلالاتٍ في التزامها بهـذه الضوابط، ولهذا من شـأن الحـوار الجاد حولهـا أنْ يعزز من الوعـي بهـا، وأن يجعلها حاضـرة دائمًـا في أذهان الباحثين المستشرقين.

2- التمثيل

أي الشـروط المتعلقة بتمثيل الثقافة الإسـلامية أو الآخـر الإسـلامي، إن صح التعبيـر، تمثيلًا أمينًا وصادقًا يُفرِّقُ بين الأصيل والدخيل.

وباستعراض الدراسات الاستشراقية والغربية عمومًا نلاحظ وجود نمطين للتمثيل الثقافي للآخر، هما: الجوهرانية (essentialism)، أي القول بأنَّ لكل ثقافة مقومات وسمات جوهرية ثابتة وغير قابلة للتغير باختلاف الأحوال والأزمان، والبنائية (constructionism) وهي الرأي المقابل الذي ينفي مثل هذا الثبات، ويُرتِّب جميعَ الظواهر الثقافية على بنيات اقتصادية/ أو تشكلات خطابية تتغير بتغيرها.

وعلى الرغم من أنَّ هذه المقاربة التعميمية التي تتوهَّم نوعًا من التغاير الحضاري الجوهري فيما هو من قبيل المشترك الإنساني كالقدرة على النظر وإعمال الفكر في المعقولات، اتضح زيفُها الآن، ودُحِضَت أسُسُها الإنثروبولوجية، ولم يعد هناك باحثٌ واحد يجاهر بها، إلا أنَّها، وللأسف، أخذت أشكالًا أخرى الآن في ظل تعميماتٍ جديدة باطلة عن العلاقة بين الإسلام والعنف، أو العلاقة بين الإسلام والإرهاب.

وينبغي أنْ ننبه هنا إلى أنَّ نقدنا لبعض مظاهر "الجوهرانية" لدى المستشرقين لا يعني أننا ننفي وجود ثوابت جوهرية في الإسلام، أو أننا ندعو إلى اعتماد المقاربة البنائية في دراسة ثقافاته وتراثه، فالحق أنَّ الإسلام، كأي دين سماوي، إنَّما يصدر عن وحي إلهي، ما يعني اشتماله بالضرورة على مبادئ ثابتة، وحقائق جوهرية، لا تتغير بتغير الأحوال والأزمان، وهذا واضح، وإنما أُوتِي بعضُ المستشرقين في تناولهم لهذه الثوابت الجوهرية من جهتين:

الأولى: إساءة فهمها، وتمثيلها بصورة مخالفة لحقيقة الأمر، سواءً عن قصد أو غير قصد، بحيث تبدو هذه الثوابت وكأنَّها منبتَّةُ الصلة بالمشتركات الإنسانية، مع أنَّ الإسلام يمثل الامتداد الأصيل للديانات السماوية السابقة عليه، ويعد إنسانيًّا في قيمه ومبادئه وتشريعاته التي جاءت رحمة للعالمين.

الثانية: الخلط بين ما هو جوهريٌّ ثابتٌ بنص الوحي، وبين الممارسات التاريخية التي نشأت إمَّا نتيجةً لعوامل خارجية، وإمَّا بسبب فهم خاطئ للنص، كما هو الحال مع ظواهر مثل التطرُّف والإرهاب، وهي ظواهر علاوةً على كونها ذات طبيعة جزئية، بمعنى ارتباطها بأفراد وجماعات خارج الإجماع الإسلامي، فإنها أيضًا دخيلة ومنافية لجوهر الدين الإسلامي وحقيقته السَّمحة.

وعلى هذا الأساس، فالتمثيل الأمين للإسلام يقتضي فهم جوهره فهمًا سليمًا، والتمييز بين ما هو أصيل وما هو دخيل، وعدم نسبة المخالفات والتجاوزات التي تقع على مستوى الأفراد والجماعات نتيجة لمؤثرات طارئة إلى حضارة وأمة بأكملها.

3 - القيم

ويتعلَّق هذا المحور بالتأكيد على ضرورة الالتزام بالقيم العلمية في الدراسات الاستشراقية، من قبيل الموضوعية، والنزاهة، والترفُّع بالبحث العلمي عن خدمة التحيزات التاريخية والثقافية للذات وإرضائها، إضافة إلى الوعي بالمسؤولية

التمثيل الأمين للإسلام يقتضي فهم جوهره فهمًا سليمًا، والتمييز بين ما هو أصيل وما هو دخيل

الكبيـرة الملقاة على عاتق الباحثين نظرًا لدورهم المهـم في تشـكيل التصـورات العامـة عـن الأمم والشعوب، وهي تصورات لها انعكاساتها الخطيرة علـى مسـتوى التعايـش بيـن شـعوب العالـم وحضاراته المختلفة.

أمَّـا بالنسـبة للقنوات التي ينبغي لهـذا الحوار أنْ يتمَّ من خلالها فهي متنوعة، لكن أهمها في رأينا:

1 - عقـد المؤتمـرات والمنتديـات الدوليـة التـي تجمـع المستشـرقين بنظرائهـم مـن العلمـاء والباحثين في العالم الإسلامي. وليست المؤتمرات الاستشـراقية في حد ذاتهـا أمرًا جديـدًا، فقد عُقِدَ أولُ مؤتمـر دولـي للمستشـرقين في باريس عام 1873م، لكـنَّ المطلـوب الآن تنظيـم مؤتمـرات بصيغة جديدة تجمع بين علماء الشـرق والغرب، ولا تقتصـر فقـط علـى المستشـرقين بالمعنـى الضيق المنحصـر في الأكاديميين المتخصصين في الدراسات الإسلامية والشرقية.

2 - إطـلاق الإصـدارات العلميـة المشـتركة التي تتقيد في منهجها بضوابط الدراسـة والتمثيل التي تطرقنـا إليها، ولا يعني هذا تقييد البحث العلمي، وإنما تزويده بمنظور جديد يعمق تناوله.

3 - تنشـيط حركـة الترجمـة من العربيـة ولغات الشـعوب الإسـلامية عموماً إلى اللغات العالمية، ذلـك أنَّ القيود الأكاديميـة في الغرب تفرض على الباحثين الاستعانة قدر الإمكان بالمصادر المكتوبة باللغـات الأوروبية ليتسـنى للقـارئ بلغات هذه الـدول الرجوع بنفسـه إلى هذه المصـادر، ولهذا يجب تنشيط حركة الترجمة، وليس المقصود هنا ترجمة مصادر الثقافة الإسـلامية فقط، وإنما أيضًا ترجمـة مـا يكتبه الباحثـون العرب والمسـلمون المعاصرون من دراساتٍ مهمة في تراثهم، وأوجه تلقيه وتفسيره.

4 - تعزيـز التعـاون الأكاديمـي بين المؤسسـات العلميـة في الغرب ونظيراتها في العالم الإسـلامي وتكثيف تبادل الطلاب والأساتذة الزائرين.

وهـو مـا يقتضـي دخـول أطـراف جديـدة إلـى المعادلة، أهمها المنظمات والمؤسسات الدولية التـي تعمـل في مجـال الحـوار الحضـاري علـى مسـتوى الأديان والشـعوب والثقافات المختلفة، وذلـك مثـل رابطة العالـم الإسـلامي وغيرها من المنظمات الدولية.

ويمكن لهـذه المنظمـات، بما لديها مـن خبراتٍ وصـلاتٍ أنْ تُشْـرِفَ، بالتعـاون مـع المؤسسـات الأكاديميـة، على تنظيم هذا الحـوار وإدارة قنواته المختلفـة، وذلـك في إطـار حـراك عام يهـدف إلى اضطـلاع النخـب الثقافيـة والدينيـة والفكريـة في العالـم الإسـلامي بـدور أكبـر في توجيه مسـار الدراسات الاستشراقية في العالم الغربي.

كما يمكن لهذه المنظمات إنشـاء إدارات وأقسام خاصـة لتنظيـم "التواصـل المعرفي" مـع الدوائر الاستشـراقية، وتقديـم تقاريـر دوريـة عـن هذه الدوائـر لصنـاع القرار في العالم الإسـلامي، بهدف الوقوف على أفضل السياسـات والاسـتراتيجيات للتعاطي مع هذه الدوائر وما يصدر عنها من نتاج معـرفي، ضمن مقاربة شـاملة تنطلـق من الحوار وتنتهي إليه.

قراءة في كتاب

«وقولوا انظرنا»

بقلم: فاضل خلف ـ مكة المكرمة

■ بين أيدينا كتاب وعنوانُه: «وقولوا انظرنا.. قراءة في تدافع المصطلحات والمفاهيم»، من تأليف الدكتور: يوسف بن عبد الله العليوي، وإصدارات شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، صدرَتْ طبعتُه الأولى عام ١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م، ويتألف من ١٧٣ صفحة من القطع المتوسط، موزعة على مقدمة وممهدات وثلاثة أبواب وخاتمة وثبت المراجع.

موضوع الكتاب العناية بتحرير المصطلحات وضبطِ المفاهيم وهذا أمرٌ في غاية الأهمية؛ لِما يترتب على ذلك من فوائدَ عظيمة، مثل: ضبط العلوم، وإزالة الشُّبَه، وتضييق دائرة الخلاف، وغير ذلك.

إن قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا} [البقرة: ١٠٤]، وقوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤). آياتُ تؤسس لأصل شرعي في تحرير المفاهيم، والخطابِ بالمصطلحات التي تعبر عنها بدقة.

من المعروف أن الخلاف في المصطلحات ومرادِها ولّد صراعًا بين الفكر الإسلامي والفكر المضاد بجميع توجهاته، منذ فجر الإسلام حتى يومنا هذا.

وكتابُنا هذا يتحدث عن هذا الصراع، وينطلق من كون المصطلحات والمفاهيم الإسلامية تتقلب بين خطاب سائد ومهيمن، وخطاب مضاد.

لعل أولَ ما يلفت انتباهَك- أخي القارئ- ويجذب اهتمامك هو عنوانُ الكتاب، المستمدّ من قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا}، وهذا براعة استهلال وذكاء من المؤلف وبُعد نظر، وهو ما بيّنه في مقدمته، فقول الصحابة: (راعنا) يريدون به ما في لفظ: (انظرنا) من دلالة المراعاة والنظر والمراقبة، وهو لا يحمل معنى سيئًا، ومعاذ الله أن يكون قد خطر ببالهم ذلك، وإنما كان اليهود يستخدمونه بطريقة ملتوية خبيثة، ويقصدون به معنى فاسدًا، ثم استخدمه المؤمنون، فنهاهم الله عن ذلك؛ لِما فيه من التباس بمراد اليهود وتشبّهٍ بهم، فالمسألة ليست حروفًا وألفاظًا، إنما هي دعوةٌ للاستقلال عن الآخرين، والتبرّؤِ من التبعية لأي أحد، ومخالفةِ كل منهج ضالّ.

يقول المؤلف [ص١٢]: «والآية بذلك تؤسس لأصل شرعي في تحرير المفاهيم، والخطاب بالمصطلحات التي تعبر عنها بدقة، من غير التباسٍ، ولا تشبّهٍ بما يخالف تميّز المسلمين».

وعلى هذا المنوال سار المؤلف في مقدمته، وسرد آياتٍ تؤسس لهذا الأصل الشرعي العظيم، وبيّن خُطته في كتابه.

ثم انتقل إلى الممهدات، فكان المدخلَ لصلب الكتاب، فخصّصه لبيان تعريف «المصطلح» و «المفهوم»، لغةً واصطلاحًا، ودلالات المصطلح ووظائفه.

فالمصطلح: هو الاسم الموضوع للدلالة على مفهوم ما، وقد يكون مفردًا، مثل: (الحديث، الفقه)، وقد يكون مركبًا، مثل: (مصطلح الحديث، أصول الفقه)، والمفهوم: هو فكرة أو قضية أو صورة ذهنية يُرمَز لها باسم مصطلح معين. ويخلص بعدها إلى قول [ص٢٤]: «وعلى هذا فالفكرة معنى، فإذا وُضع لها مصطلحٌ صارت مفهومًا، فالمعنى لا يسمى مفهومًا إلا بمصطلح، وحينئذ: لكل مصطلح مفهوم، ولكل مفهوم مصطلح، والمصطلح عنوان المفهوم كما يقول الشاهد البوشيخي».

أما دلالات المصطلح فهي ثلاث دلالات، الأولى: الدلالة

الاصطلاحيـة، وهـي الدلالـة المقصـودة التـي وُضـع المصطلـح من أجلهـا، والثانية: الدلالـة اللغوية، وهي الأصـل الذي كانت عليه، حيث يُنقل اللفظ من معناه اللغوي إلى الاصطلاحي لعلاقة بينهما، والثالثة: الدلالة القيمية، وهي التي ترتبط بالبيئة التي نشـأ المصطلح فيها، فيحمل هُويتها وخصائصها.

وبعدهـا أجمـلَ المؤلـفُ وظائـف المصطلـح في ثلاث وظائف.

الأولـى: البيانية، فيُخاطَـب كلُّ قوم باصطلاحاتهم التي يتعارفونهـا بينهم، ويُتواصل معهـم على ما يفهمون، ويظهر أثر هذه الوظيفة في الحوارات والمناظرات.

الثانيـة: العلميـة، فهـي مفاتيـح العلوم، واسـتيعابُ العلوم قائمٌ على فهم مصطلحاتها.

الثالثة: العقدية الحضارية، فالمصطلحات تختزن هُوية الأمة، وإنّ جزءًا كبيرًا من الصراع المصطلحي منطلق من كـون المصطلحات تمثل شـخصية الأمة وهُويتها الفكريـة والحضاريـة، فالتميـزُ العقـدي في الإسـلام مقصـدٌ مـن مقاصـده، حتـى علـى مسـتوى الألفـاظ والمصطلحات، وهذا التميز أصل مهم في الحفاظ على الهوية الدينية والريادة الحضارية.

بحـثَ بعدهـا المؤلـفُ في البـاب الأول مـن الكتـاب منظومـة المصطلحـات والمفاهيم الإسـلامية، وجزّأه إلـى عدة مباحـث، فبـدأ بأنـواع المصطلحـات، فذكر أنهـا قسـمين وَفـق خصوصيتهـا الإسـلامية: مفاهيم خاصة بالإسـلام، مثـل: التوحيد، الإخـلاص، الصلاة...، ومفاهيـم موجودة قبل الإسـلام، جاء الإسـلام فأكّدها وهذّبها. كما بيّن أنها تنقسـم إلى: مصطلحات مركزية واسـعة، تنضوي تحتها مجموعةٌ من المصطلحات. و: مصطلحات فرعية ضيقة.

وفي سـؤال عمّن يحدد مفاهيم المصطلحات في القرآن والسـنة، يجيب المؤلف أنه من الطبيعي أنّ مَنْ يدعو إلـى منهج أنْ يبيّن حـدودَه ومفاهيمَه، فاللهُ عز وجل حينمـا رضي لنا الإسـلام دينًا، بيّن لنـا مراتبه وأركانه وحـدوده، وذكـر- المؤلـف- أنّ هـذه المصطلحـات في القـرآن والسـنة علـى نوعيـن، منهـا ما جـاءت مع مفاهيمهـا منصوصًا عليها، ومنها ما فُهم بالاسـتقراء والتتبـع في السـور والأحاديـث، وأكّد أنّ ذلـك لا بد أن يكون وَفق الأصول والضوابط الشرعية.

أما السمات فعدّد لها خمس سمات، فهي أولًا: ربانية، جـاء بهـا الوحي، ولا مرجعيـة فيها للقوانين البشـرية والأعـراف الاجتماعيـة. ثانيًا: الشـمول والتكامل، فهي تعالج كلّ شـؤون الحياة وكلّ أحوال النفس وعلاقاتها المختلفـة. ثالثًا: العالمية، فالخطابُ الإسـلامي خطابٌ عالمـي، يتجاوز حـدودَ الزمان والمـكان، ونبّه المؤلف هنـا علـى أمريـن، الأول: ألّا تُسـتبدل المصطلحـات بغيرهـا، الثاني: ضـرورة أنْ تلفـظَ المصطلحاتُ التي اختص بها الشـرعُ كما هي، أمـا المصطلحات الأخرى فتترجـم مفاهيمها. رابعًا: الثبـات، وهذا يتناول اللفظ والمفهـوم، فهـي لا تخضـع لمعـاول النقـد والتغييـر والتطوير البشـري. خامسًـا: الحُسـن، فألفـاظُ القرآن أحسـنُ الألفـاظ وأفصحُهـا، وهي منزهةٌ عـن الفحش والقبـح، ولو اقتضى المقامُ ذكرَ معنـىً فاحشٍ فيعبّر عنه بلفظ شريف، باستخدام الكناية والتشبيه والمجاز.

ثم تكلم عن شـبكة العلاقات التي جعلتِ المصطلحاتِ مترابطةً فيما بينها، فلا يوجد مصطلح مسـتقل بذاته، بل كلُّ مصطلح يأتي ضمن شبكة تكوّن حقلًا مفهوميًا مترابطًا، وكلُّ حقل يأتي ضمن شبكة حقول مفهومية.

وختـمَ البـابَ بالحديـث عـن العلاقـة الدلاليـة بيـن المصطلـح والمفهـوم، فالقـرآنُ كتابٌ محكَـمُ الآيات، والمصطلحُ الشرعي فيه لم يأت اعتباطًا، وإنما اصطُفي عن قصد؛ لما يكتنزه من دلالات.

أمـا البـاب الثانـي فعنوانـه: «المفهوم الإسـلامي من المضـاد إلـى السـائد»، فالمجتمـعُ الجاهلـيُّ كانـت تنتشـر فيـه تصورات وسـلوكيات تخالف الحـقّ الذي جـاء به النبـيُّ عليه الصلاة والسـلام، وكانـت مفاهيمُ الشرك هي السـائدة، فجاء الخطاب الإسـلامي مضادًا لها، فتسـاءلَ المؤلف هنا: كيف تعامل الإسلام معها؟ وكيف اسـتطاع خلال مدة وجيزة أن يجعل المشركين يتخلّون عن مفاهيمهم، ويتبنّون مفاهيم الإسلام التي كانوا يحاربونها؟ وما الآلياتُ التي اتبعها الإسلام في هذا التغيير؟!

يرى المؤلف أن الإسـلام اتبـع آليتي التخلية والتحلية، بالإضافـة إلى بـثّ عدة مفاهيم، اقتصـر منها المؤلفُ على مفهوم الإيمان باليوم الآخر.

هندسة

العلاقات الإنسانية

بقلم: أ. د. آمنة بن منصور ـ الجزائر

■ تقوم العلاقات الإنسانية على تبادل المصالح والمنافع من أجل تحقيق الحاجات وإدراك الغايات والمقاصد على اختلافها، ولا يتحقق هذا المطلب إلا في وجود الفرد داخل مجتمع ما، ذلك أن الإنسان بطبعه كائن اجتماعي لا يمكنه العيش منفردا، فقد جاء في الأثر: «أن آدم أدخل الجنة لوحده فاستوحش فخلق الله منه زوجه حواء»، لتكون له سكنا، قال الله تعالى: «لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» (الأعراف، الآية ١٨٩).

كما بيّن الله عز وجل أن العلاقات بين البشر تقوم على أساس التعارف والتكامل في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» (الحجرات، الآية ١٣).

وابن خلدون في مقدمته يقرر «أن الإنسان مدني بالطبع، وهذا يعني أنه لا يمكن للفرد أن يعيش حياته بعيدًا عن البشر، فلا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه، وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهو محتاج إلى المعونة في جميع حاجاته أبدًا بطبعه».

الشاهد هنا أن الإنسان منذ وجد احتاج إلى غيره كي يبادله المصالح ويحقق من خلاله الحاجات النفسية والمادية. ويذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك حين دعا إلى الأخوة، وهي أعلى درجات العلاقات الإنسانية خارج إطار الرحم والنسب، فالأخوة في الإسلام قد تكون أحيانا أقوى من أخوة الدم والنسب، وقد عبر الشاعر عن هذا المعنى فقال:

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه

إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

انطلاقا من هذا المفهوم، قد يفرط بعض الناس في تقديم العطاء، ويبالغ في الاهتمام، ويسرف في الحب، وربما سعى إلى تحقيق حاجات غيره على حساب نفسه ووقته، فلا يلقى منهم إلا النفور والإدبار. والحديث هنا، قطعا، لا يتعلق بمساعدة الفقير أو المحتاج فتلك من المسلّمات في ديننا، ولكن بيت القصيد يكمن في تبادل الحاجات والمصالح وحتى المشاعر بين الناس من ذوي الرتب المتساوية أو المتقاربة في الحياة اليومية، سواءً في العمل أو البيت أو الشارع، أو في مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها. وهذا من عجيب العلاقات، إذ قد يظن المرء أنه كلما أعطى أكثر، استقبل أكثر، فطبيعة البشر تقتضي العطاء مقابل الأخذ، أو نيل التقدير والامتنان كأضعف الإيمان، ولكن الذي يحصل أن المرء كلما أفرط وبالغ في تقديم وتقدير غيره على نفسه، قلّ ونقص استحقاقه لدى الناس.

يقول د. ياسر الحزيمي «إنه كلما [عملقنا] الآخرين، أي جعلنا منهم عمالقة، تقزّمنا نحن، أي صرنا أقزاما. ومن يفعل العكس، فيُعملق نفسه، ويُقزّم الآخرين، فهو من أصابه الكِبر. والتعامل الصحيح هنا، هو أن

نُنـزل النّـاس منازلها بحق»، ويضيف قائـلا: «العلاقات لا بـد أن تدخلها معك سـيف وغمـد ودرع». فالتعامل مـع النـاس لا يكـون بالإفـراط كمـا لا يكـون بالتفريط، هنـاك من يسـتحق القليل وهناك من يسـتحق الكثير وهناك من لا يسـتحق شـيئا، وقديما قالـت العرب في هذا المعنى: «زر غِبّا تزدد حبا»، وقال الشـاعر العربي تصديقا لهذا المثل:

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً

وإن شئت أن تزداد حباً فزر غبا

ولكن لكل قاعدة استثناء، إذ يظل الوالدان الاستثناء الـذي لا ينطبـق عليـه قانـون العلاقـات الإنسـانية، ولا نظرياتهـا، ولهـذا خصهمـا الله تعالى بالبـر والرعاية في أكثـر من آيـة كريمة، يقـول تعالـى: «وَقَضَىٰ رَبُّـكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» (الإسراء، الآية ٢٣).

كما أكدت الأحاديث الشـريفة فضـل الوالدين وبرّهما في أكثر من موضع، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سـأل النبي صلى الله عليه وسـلم «أي العمل أحـب إلى الله؟ قـال: الصلاة علـى وقتها، قـال ثم أي؟ قـال: بر الوالدين، قـال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سـبيل الله».

وعـن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «جاء رجل إلى رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك».

الشـاهد هنـا أن المـرء كلمـا قـدم لوالديـه الاهتمـام والرعايـة وسـعى لقضـاء حاجاتهمـا، اسـتقبل الحـب والرضـا مـن جهتهما، وارتفع اسـتحقاقه أمام نفسـه، فالفعل هنا يقابله رد فعل يرضي الطرفين، وقد أثبتت التجارب بما لا يدع مجالا للشك أن كل البشر باستثناء الوالدين إذا أفرط المرء في الاهتمام بهم، وبالغ في حبهم ودلالهـم؛ أبناء أو زوجـات، أو أصدقاء أو أغرابا.. أصابهم الغرور والدلال والملل، وربما نفروا منه وأفسدوا عليه حياتـه، بينمـا يكبـر المرء في عيـن والديه كلمـا زاد في برهما وحبهما ورعايتهما، وهذه حكمة عجيبة للشارع الحكيم حيـن جعل الوالدين علـى رأس هرم العلاقات الإنسـانية، تلطفا بالعباد الذين قد يصرفون مشاعرهم في غير وعائها الذي يحتويها وينمّيها ويقدّرها.

أمـا العلاقـات الإنسـانية الأخرى فحسـبها الأثـر القائل -وقيل لعلي رضي الله عنه-:

«أحبـب حبيبك هونًا ما عسـى أن يكـون بغيضَك يومًا مـا، وأبغـض بغيضك هونًا ما عسـى أن يكـون حبيبك يومًا مـا»، فالإفـراط في الحب والعطاء والتنازل يفسـد العلاقات الإنسانية بدل أن يقويها.

البكيرية

«ولّادة العلماء»
«ومعقل الأئمة»

بقلم: محمد سعيد الغامدي

■ تعـد مدينة البكيرية (التابعة لإمارة منطقة القصيـم) ، مـن أشـهر المـدن السـعودية في تخريج العلماء والأئمة والدعاة.

واشـتهرت هذه المدينة الصغيرة بهذه الميزة الدينية منذ بدء العلم والتعليم في مناطق وسط نجد وخصوصا مع بزوغ فجر الدولة السـعودية الأولى ، ولم تكتف بذلك بل أنها زوّدت الحرمين الشـريفين وبعض جوامـع المنطقة الوسـطى ومختلف مناطق البلاد بالأئمة والخطباء.

وتكونت هـذه المحافظة في بدايـة القرن الثاني عشـر الهجري، وبـرز فيهـا ثُلة مـن العلماء في مختلف فروع الدين ، كما أنه استقبلت العديد مـن الأئمـة والملـوك والشـخصيات البـارزة، منهـم الإمام فيصـل بن تركي مؤسـس الدولة السـعودية الثانية، وأيضا الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سـعود موحد المملكة العربية السـعودية رحمه الله، وذلك عندما قدم إليها عام ١٣٢٥هـ.

وزارها أيضآ عدد من الأمراء والوزراء والضيوف والشـخصيات العالميـة، وتـم تسـجيلها لـدى الهيئة العامة للسياحة كمعلم أثرى وتاريخي.

ولا تزال منطقة نجد التي تقع في وسط المملكة العربية السـعودية تنجب العلمـاء والأئمة، ولا تجـد مدينة أو قرية في نجد لـم يبرز من أبنائها شـخص أو أكثر اختاروا خدمة الدين الإسـلامي وتعليمه للعامة ونشره والحفاظ على صفائه.

وبالعـودة لهـذه المدينـة الصغيـرة ، فلم يكن ليمر تميز أبنائها مرور الكرام على

مؤسـس هـذا الدولـة وبانـي نهضتهـا الملـك عبدالعزيـز بـن عبدالرحمن ال سـعود، فيذكر الـرواة بانـه قـال عنها في أحـد مجالسـه « إنها معدن علم » ، ولم يكتف الملك عبدالعزيز بذلك

بل إنه زارها ، واتخذ بعض رجالاتها مستشارين وأعوانًا له في مجال الدين وموظفين في الدولة، مثل الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد رجل العلم والسياسة، والذي كان مقرباً من الملك عبد العزيز ووُليَ القضاء في البكيرية والرس، ثم مستشاراً للملك عبد العزيز ونائباً له في بعض المهمات.

واستمر تميز مدينة البكيرية في إثراء الساحة الدينية بالعلماء والأئمة والمتخصصين في الشريعة. منذ ذلك الوقت وحتى يومنا الحاضر .ووجد الملك عبدالعزيز في هذه المدينة ضالته العلمية والدينية ، فكلف العديد من علمائها وطلبة الشريعة المؤهلين للقضاء فيها. كما كلف عددًا من علمائها بالعمل في بعض مدن المملكة.

وهنا مسرد لبعض أهم علماء البكيرية وخاصة الذين أصبحوا أئمة للحرمين الشريفين، أو عملوا في القضاء وهم:

- الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي سابقآ فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله بن عبدالعزيز السبيّل، من آل غيهب من قبيلة بني يزيد.

ولد في البكيرية عام ١٣٤٥ هجرية، وكانت بها نشأته فتتلمذ على يد خاله الشيخ محمد بن علي المحمود، وعلى يد الشيخ عبدالرحمن الكريديس. حفظ القرآن الكريم وهو في العام الرابع عشر، ولزم الاشتغال بالعلم منذ صغره. انتقل إلى بريدة ومنها إلى مكة المكرمة فجاور البيت الحرام واجتهد في طلب العلم، وحصل على إجازة في تجويد القرآن من الشيخ سعدي ياسين اللبناني عضو رابطة العالم الإسلامي، كما عُرف عن الشيخ محمد السبيّل إلمامه التام بالسنة النبوية. في عام ١٣٦٣ هجرية تم تعيينه إماماً في المسجد الحرام «للمسجد التحتي»،

والقيام بالخطابة في الجامع الكبير نيابة عن أخيه حتـى عام ١٣٧٣هـ. ثم في عام ١٣٨٥ هجرية عُين إماماً وخطيبا ومدرساً بالمسجد الحرام، وحظي بشـرف الإمامـة في بيت الله الحـرام لمدة تزيد على أربعين عاماً، كان يتردد خلالها صدى صوته في جنبـات مكة المكرمـة، بل وفي مختلف أقطار المعمـورة عبر البـث الإعلامي الحـي لصلوات المسجد الحرام.

وفي عام ١٣٩٠ هجرية عُين نائبا لرئيس الإشـراف الديني على المسـجد الحرام للشـؤون الدينية. بعـد ذلـك وفي عـام ١٣٩٧هـ نال منصـب نائب الرئيـس العـام لشـؤون الحرمين الشـريفين، ورقـي للمرتبة الممتـازة عام ١٤٠١هـ. وبعد أن تأسسـت الرئاسـة العامـة لشـؤون المسـجد الحـرام والمسـجد النبـوي عُين نائبـا للرئيس العـام، ثم كلف برئاسـتها عام ١٤٠٩هـ، ومن بعد ذلك عُين رئيسـا عاما لشـؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بمرتبة وزير عام ١٤١١هـ ليزيد هذا إلى مفاخره فخرا بالعمل في خدمة الحرمين الشـريفين والقيام على رعاية شؤونهما، وبقي في هذا المنصب حتى طلب الإعفاء من الرئاسـة عـام ١٤٢١ هجريـة، لكنـه بقـي إمامـا ومُدرسـا بالمسـجد الحـرام. فضيلته كان أيضـا عضوًا في هيئـة كبار العلمـاء في المملكة، وعضو المجمع الفقهي الإسـلامي برابطة العالم الإسـلامي منذ تأسيسـه، وعضو جمعية تحفيـظ القرآن الكريم بمكة المكرمة، ورئيس لجنة أعلام حدود الحرم المكـي، وغير ذلك من الجمعيـات المتخصصة والخيريـة بمكة. قدم عددًا من البرامج الإذاعية منهـا (مـن هـدي المصطفـى صلـى الله عليـه وسلم)، وبرنامج (من منهج التربية الإسلامية)، وبرنامج (مشـكاة النبوة)، وكان له مشـاركة في برنامـج (نور علـى الدرب) بنـاءً على طلب من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز.

- إمام وخطيب المسـجد الحرام فضيلة الشـيخ عبد الله بـن محمد الخليفي رحمـه الله تعالى ، ولـد في البكيرية عام ١٣٣٣ هجرية، حفظ القرآن علـى يـد والـده بالإضافـة إلـى مبـادئ العلوم الدينيـة كالعقيدة والحديـث والفقه. صار إماما وهو في سـن مبكرة جدا، وكان يصلي بالناس في مسـجد البكيرية، ثم إمامـا للتراويح والقيام في جامعها الكبير وهو لم يتجاوز الخامسـة عشرة من عمره.

درس على يد الشيخ الكريديس والشيخ عبدالله بن حسـن آل الشـيخ رئيس القضـاء في الحجاز. استدعاه الأمير فيصل بن عبدالعزيز عام ١٣٦٥ هجرية وعينه إمامًا في مسجده بمدينة الطائف. نـال شـهادة كفـاءة المعلميـن مـن المعارف، إضافـة إلـى حصولـه علـى شـهادة التجويـد في القراءات وإجازة التدريس في المسجد الحرام.

أُعجب به الشـيخ عبدالله بن حسـن آل الشـيخ فطلب منه أن يكون مساعدا للشيخ عبد الظاهر أبي السـمح إمام المسـجد الحرام آنذاك فوافق الأمير فيصل (الملك فيصـل)، فانتقل إلى مكة فأصبح منذ ذلك الحين مساعد إمام في المسجد الحرام، أي منذ عام ١٣٦٧هـ. تم ترسـيمه إمامًا للحـرم عام ١٣٧٣هـ فقضى في الإمامـة بالحرم المكي الشريف ما يقارب نصف قرن، أي تسعة وأربعيـن عامـاً، مـا بيـن ١٣٦٥ – ١٤١٤ هجرية. وللشـيخ الخليفـي مؤلفـات بلـغ عددهـا ثلاثة عشـر مؤلفًا، منهـا: «خُطب الجُمع في المسـجد الحرام»، و«مناسـك الحج»، و«القول المبين في رد بـدع المبتدعين»، و«دواء القلـوب والأبدان

من وساوس الشيطان». وله عدة مشاركات في إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة، وله فيها مصحف مرتل يُتلى من خلال إذاعة القرآن الكريم.

- فضيلة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي، هو محمد بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سلميان الشاوي من قبيلة البقوم، من مواليد البكيرية سنة ١٣٠٣ هجرية. فقد بصره بعد ثلاث سنوات من ولادته، ولكن ذلك لم يكن حائلا دون طلبه العلم، فعندما كان في سن التعليم حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه سن الثالثة عشرة، ثم انتقل إلى بريدة. وعُين عام ١٣٣٣ هجرية قاضيا في إحدى هِجر القصيم. شارك في جيش الملك عبدالعزيز مرشدًا دينيًّا وقاضيا، وقد حضر كُبرى الوقائع، ومنها معركة تربة عام ١٣٣٧هـ، ومعركة الطائف عام ١٣٤٣هـ. عين عام ١٣٤٦هـ واعِظاً ومرشدًا في المسجد الحرام بمكة المكرمة وفي نفس الوقت مدرساً بالمعهد السعودي بمكة.

- الشيخ إبراهيم بن راشد بن عبدالكريم الحديثي وُلد عام ١٣٢٢ هجرية في البكيرية. التحق عام ١٣٢٨ هجرية وهو في السادسة من عمره بالحلقات الدينية، فتعلم القرآن الكريم ومبادئ الدين الحنيف. وحينما بلغ الرابعة والعشرين كان من ضمن مشايخ القصيم الذين استقبلهم جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في مكتبه بالداودية بجوار الحرم المكي الشريف، ووجههم للعمل في بوادي الحجاز لتعليم الناس أمور دينهم ومحاربة الجهل والخرافات.

وقع الاختيار عليه للذهاب هو وبعض زملائه إلى قرى القضيمية وثول شمال مدينة جدة بدايات الخمسينيات الهجرية. بعد أربعة عقود من طلب العلم الشرعي وبالتحديد عام ١٣٦٠ هجرية صدر الأمر الملكي الكريم بتعيينه قاضياً في بارق في تهامة عسير. ثم انتقل للنماص قاضياً ومفتياً وخطيباً للجمعة، وكان يبدي إعجابه بمنطقة عسير وطبيعتها الخلابة، واستمر عمله بها حوالي ثلاثة عشر عاماً، وكانت علاقة الشيخ

العلامة بالمنطقة وجدانية، وحافلة بالمواقف العظيمة التي يذكرها أهلها بكل تقدير وإجلال، حيث حلّ الكثير من الخصومات المستعصية والشائكة بين القبائل والأفراد، وأصبح بذلك مرجعاً معتمداً في أحوال المنطقة وأوضاعها.

كانت له علاقة متميزة بالملك المؤسس الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، ثم بأبنائه الملوك سعود وفيصل وخالد وفهد رحمهم الله جميعًا، حيث كان يقوم بزيارتهم وكانوا جميعا يبادلونه التقدير والثقة به في كثير من القضايا. استمر في القضاء حوالي اثنين وخمسين عاماً، ووصل عمره حينها تسعين عاماً.

- فضيلة الشيخ محمد بن صالح الشاوي، هو محمد بن صالح بن عبدالله بن محمد بن سليمان الشاوي البقمي الأزدي، ولد بمدينة البكيرية بتاريخ ٢٣ رمضان ١٣٥٠ هجرية. وكان والده فضيلة الشيخ صالح بن عبدالله الشاوي عالما من علماء البكيرية. عُرف الشيخ محمد الشاوي بالورع وأيضا بالحزم في أمور الدين. في صغره، في سن التاسعة من عمره أجلسه أبوه مجالس حلقات طلبة العلم، فدرس كُتب ابن القيم وكُتب التفسير وابن تيمية والسيرة النبوية. ولما بلغ الحادية عشرة من عمره، دفعه والده إلى حلقات العلم في الجامع الكبير، فتتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبدالله السبيّل والشيخ عبدالعزيز بن سبيّل والشيخ العلامة محمد المقبل وغيرهم. ثم أُرسله للرياض وهو في الثالثة عشرة من عمره، وانضم لطلبة العلم في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأخيه الشيخ عبداللطيف آل الشيخ، فأصبح من العلماء الشباب. تم تعيينه بعد ذلك مستشارا لوزير العدل الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ في عام ١٣٩٨ هجرية، لكنه لم يستمر في المنصب، وفي عام ١٣٩٩ هجرية انتقل إلى مكة المكرمة وسكن بجوار الحرم يقدم الدروس في الحرم الشريف ويؤلف. ومن مؤلفاته كتاب «النفحات المكية في تفسير كتاب رب البرية»، وكتاب «دروس وقبسات من الحرم المكي»، و«خطبة المنبر»، وغير ذلك.

- فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبدالله بن سليمان الخضيري، من بني تميم، ولد في البكيرية عام ١٣٣٣ هجرية، وأمضى فيها طفولته وشبابه فالتحق بالكُتّاب، وتتلمذ على يد عدد من المشايخ وأفاد من علمهم. أرسله والده إلى بريدة فحفظ القرآن وتتلمذ على بعض مشايخها، ثم عاد للبكيرية، ومن ثم في عام ١٣٦٠هـ انتقل للرياض، وتتلمذ على أيدي كبار مشايخها مثل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد. وبعد إصرار من سماحة الشيخ عبدالله بن حميد أصبح الشيخ عبدالله قاضيا في عفيف

والريـاض وغيرهمـا مـن المدن، ومـع نهايات عـام ١٣٨٣ هجريـة انتقل إلـى المدينة المنورة وعمل مدرسـا بالجامعة الإسـلامية إلى أن توفي عام ١٣٩٣ هجرية.

- فضيلـة الشـيخ العلامـة صالـح بـن محمـد اللحيدان ، رئيس مجلس القضاء الأعلى. وعضو هيئة كبار العلماء .والعلامة والداعية المعروف.

ولـد في مدينـة البكيريـة في منطقـة القصيـم. وتخرّج في كلية الشـريعة بالرياض عام ١٩٥٩م، وعمـل بعـد تخرجه سـكرتيرًا وملازمًـا قضائيًا لمفتي الديار السـعودية السـابق الشيخ محمد بـن إبراهيـم آل الشـيخ، واسـتمر في ذلـك إلى أن عُيّـن عام ١٩٦٣م مسـاعدًا لرئيس المحكمة الكبرى في الرياض،

عين رئيسًـا للمحكمة عـام ١٩٦٤م، وحصل على رسـالة الماجسـتير من المعهد العالي للقضاء عام ١٩٦٩م واستمر رئيسًا للمحكمة الكبرى إلى أن تم تعيينه عام ١٩٧٠م قاضي تمييز وعضوًا في الهيئة القضائية العليا.

وعُيّـن في العـام ١٤٠٢ رئيسًـا للهيئـة الدائمة في المجلـس الأعلى للقضاء، واسـتمر في ذلك نائبًا لرئيس المجلس في غيابه إلى أن تم تعيينه عام ١٤١٤ رئيسًا للمجلس في الهيئة العامة والدائمة .

كان عضـوًا في هيئـة كبـار العلماء منذ إنشـائها عـام ١٩٧١م وعضـو في رابطـة العالم الإسـلامي، وكان لـه نشـاط في مجلة راية الإسـلام ومديرها ورئيـس تحريرهـا، ولـه دروس في المسـجد الحـرام تذاع، وفتاوى في برنامج نور على الدرب ولـه محاضرات وندوات ومشـاركة في مناقشـة رسائل الماجستير والدكتوراه.

وتلقـى فضيلة الشـيخ العلم على عدة مشـايخ أبرزهـم الشـيخ محمد بـن إبراهيم آل الشـيخ مفتي المملكة العربية السعودية الأول.

والشـيخ عبـد العزيـز بـن بـاز مفتـي المملكة العربية السـعودية الثاني.والشـيخ عبد الرزاق عفيفي.والشـيخ محمـد الأميـن الشـنقيطي، وغيرهم.

الرئيس العام للشـئون الدينيـة وإمام وخطيب المسجد الحرام ، فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد السديس، يعود أصله إلى قبيلة عنزة المشـهورة والمعروفة في محافظة البكيرية في منطقة القصيم في المملكة العربية السـعودية، اقترن اسمه بالحرم المكي الشـريف، وبرز اسـمه لصوته الأخاذ للمسـامع وبهذا يعد أشهر مرتلي القرآن الكريم في العالم، يشغل منصب الرئيس العام لشؤون مسجدي الحرام والمسجد النبوي منذ ٣٠ عاماً.

التحق الشـيخ عبد الرحمن في صغره بمدرسة المثنـى بـن حارثـة الابتدائية، وبعدهـا بمعهد الريـاض العلمـي. تخـرج مـن معهـد الرياض العلمـي بامتيـاز في عـام ١٣٩٩ هجـري/ ١٩٧٩ ميلادي. انتسـب إلـى كلية الشـريعة في مدينة الرياض، وتخرج فيها في عام ١٤٠٣ هجري/ ١٩٨٣ ميـلادي، وعيـن باحثًا في كلية الشـريعة. حصل على درجة الماجسـتير عـام ١٤٠٨ هجري/ ١٩٨٧ ميـلادي، مـن كلية الشـريعة في جامعـة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية، من قسـم أصول الفقه، وكان عنوان رسـالته «المسائل الأصولية المتعلقة بالأدلة الشـرعية التـي خالف فيها ابن قدامـة الغزالي». حازَ علـى درجة الدكتوراه عام ١٤١٦ هجري/١٩٩٥ ميلادي من كلية الشريعة في جامعة أم القرى بتقدير امتياز، وقد أُمرَ بطباعة أُطروحته التي حملت عنوان «الواضح في أصول الفقـه لأبي الوفـاء بن عقيـل الحنبلي: دراسـةً وتحقيق».

أمضـى إمامًا وخطيبًـا في عددٍ من المسـاجد في العاصمـة الريـاض، وكان آخـر هذه المسـاجد مسـجد (جامـع) الشـيخ العلامـة عبـد الـرزاق العفيفـي. قرأ على يد سـماحة العلامة الشـيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، والشيخ العلامة عبـد الـرزاق عفيفـي -رحمـه الله-، والشـيخ د. صالح الفوزان.

عُيّنَ إمامًا وخطيبًا في المسـجد الحرام عام ١٤٠٤ هجـري/ ١٩٨٤ ميلادي. عمل محاضرًا في جامعة أم القـرى في مكـة المكرمة، في كلية الشـريعة، في قسـم القضـاء، وذلـك بعدمـا نـال درجـة الماجسـتير. نُصِب أسـتاذًا في كلية الدعوة ونال بعدها درجة الدكتوراه.

صنائع المعروف

تقي: مصارع السوء

بقلم: الدكتور أحمد علي سليمان ـ مصر

■ عـن أنـس بـن مالـك (رضـي اللهُ عنـه) أنَّ رَسُول الله (صلَّى اللهُ عليه وسلم)، قال: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ» (حديث صحيح)، وصنائـعُ جمـعُ صَنيعَـة، والمعروفُ مـا تَعارفَ النـاسُ علـى حُسـنِه وجَمالـه وجَلالـه، وهو ما عُرف حسنُه في الشَّرع الشريف، و"تقي مصارع السوء" أي: تدفعُ عن فاعلِها كلَّ مَصرعٍ لا يحبُّه، وقيلَ بأنها تدفعُ عنِ الإنسان سوءَ الخاتمة؛ نجّانا اللهُ وإياكم من ذلك، ورزَقَنا حُسنَ الخاتمة.

أما ما يُصيب المسـلم أحيانًا من حوادثَ أليمةٍ كإصابتِه في حادثٍ ونحوه، فقد يكون ذلك:

* تَكفيـرًا لخطايـاه؛ فعنْ أبـي هريرة (رضي اللهُ عنـه) أنَّ رَسُـول الله (صلَّـى اللهُ عليـه وسـلَّم) قال: «ما يُصِيبُ المُسْـلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَـمٍّ ولَا حُـزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّـوْكَةِ يُشَـاكُهَا؛ إلَّا كَفَّـرَ اللَّهُ بهَـا مِن خَطَايَـاهُ» (صحيح البخاري).

* وقد يكون -كما قالَ العلماء- رَفْعًا لدَرَجاته.

* أو نوعًا من أنواع الشَّهادة.

ويختلفُ ذلك باختـلافِ أحوال النَّاس وأعمالهم، فمـا يُصيـب المؤمـنَ مـن البـلاءِ هـو خيـرٌ في جميـع الأحـوال، حتـى الشَّـوكةَ يُشـاكُها. فاللهَ جعَل الابتـلاءاتِ كفَّاراتٍ لذُنوبِ المُؤمنِ ورِفْعَةً لدَرجاتِـه، وهذا الحديـثُ تَسـليةٌ للمؤمنِ فيما يُصِيبُـهُ مِـن مَصائـبِ الدُّنيـا، ومِـن الأمـراضِ والأوجاعِ؛ فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ خَيرٌ له.

وصنائـعُ المعروف هي مَفاتيحُ الخير للمُسـلم، ومَفاتيـحُ الخيريَّـة للأمَّـة، وهـي صدقـةٌ علـى النَّفـس وعلى الغَيـر، وهي شـكرٌ للمُنعم على إنعامِه، وهي صدقةٌ عن المَواهب والعطايا.

وإنَّ حَضارتنـا الإسـلامية سـبّاقةٌ إلـى الرَّحمـة وصناعـةِ الخير في كلِّ مـكانٍ وزمان وحال، وقد زكَّـى اللهُ -سـبحانه وتعالـى- أمَّتَنـا الإسـلامية بقوله: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّه» (آل عمران: 110).

حَضارتنا الإسلامية سبّاقةٌ إلى الرَّحمة وصناعةِ الخير في كلِّ مكانٍ وزمان وحال

ونَفهمُ من الآية الكريمةِ أنَّ خَيريةَ الأمَّة وخَيرية المسلمين، وخَيريةَ كلِّ فردٍ من أفراد الأمَّة؛ تكمُنُ في الإيمان بالله، الذي هو أساسُ كلِّ خير، وفي بَذل الوسْع في الأمْر بالمعروفِ وفِعلِه، والنَّهي عن المنكرِ واجْتنابِه؛ لتكون صناعةُ المعروف عامَّةً وشاملةً وكاملة، تَستغرقُ كلَّ مَجالات الحياة وشتَّى مُكوِّناتها، فتَشمل الإنسان -الرجلَ والمرأة، والطفلَ والشيخ، والأبيضَ والأسود، والمسلمَ وغير المسلم، والعربيَّ والأعْجمي-، ومن ثمَّ تشملُ الإنسان، والحيوان، والطَّير، والنبات، وحتَّى الجماد؛ بل إنها تَشملُ الأحياء والأمواتَ على حدٍّ سواء.

وهكذا فحيثُما تكونُ المصلحة -مصلحةُ الإنسان ومصلحةُ الأديان، ومصلحةُ الأوطان، ومصلحةُ الإنسانية- فثمَّ شرعُ الله.

وبلادُنا العظيمة أبدعتْ في صناعةِ الخيرِ عبرَ تاريخها المديد المجيدِ، ولا تزال؛ فقد علَّمتِ العالَمِ العلومَ والفنونَ والآداب، ونَشرتِ الخيرَ في كلِّ مكان، وتقوم دومًا بحملاتٍ إغاثية ومَكوكية لأشقّائنا المكروبين، وتُصدِّر للعالم كلِّه العلمَ النافع، والتَّسامح، والإيمان، والسلامَ والوئامَ في كلِّ مكانٍ عبرَ سائر مؤسَّساتها.

إنَّ صنائعَ المعروف لها فضلٌ عظيم ونفْعٌ عَميم في الدُّنيا والآخرة، فهي مِن مقوِّمات النَّجاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة. ولمّا نزلَ الوحيُ على سيدِنا رسول الله (صلَّى اللهُ عليه وسلم) دخلَ عَلَى السيدة خَدِيجَةَ (رضي اللهُ عنها وأرضاها)، فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي)، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: «أبشر؛ فوالله لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا»، لماذا؟ هنا تأتي مقوماتُ النَّجاة.. «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتصدق الحديث، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» (متفق عليه).

قصصٌ وشَواهد:

كان القصصُ النبويُّ من هدْيه (صلَّى اللهُ عليه وسلم) في بعض الأحيانِ حتَّى يوصِّل لأصحابِه غرضَه وهدْيَه بأسلوبٍ مغلَّف كريم؛ ومن ذلك قصصُ أقوامٍ صَنعوا المعروفَ -الذي يبدو في

نَظرنـا صغيـرًا- بينما هـو عند الله كبيـر؛ فكان جزاؤهم عند الله كبيرًا:

ومِن هؤلاء رجلٌ أزال الأذَى عنِ الطريق، فَشَـكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ.

ومِـن هـؤلاء رجـلٌ رأى كلبًـا يلهـثُ -أي: يأكل الثَّرى مـن العطش- فنزلَ البئرَ وحملَ الماءَ في خفِّه، وسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ.

ومِـن هـؤلاء رجـلٌ سَـمحٌ كان يُدايـن النـاسَ، ويَصبـرُ عليهـم في سـدادِ الديـون، ويَتَسـامح معهم، فتجاوزَ اللهُ عنه.

صورُ صَنائعِ المعروف:

أنـواعُ المعروفِ كثيـرة وسُـبُلُه متنوِّعة، ومِن صـور صَنائع المعروفِ التـي يحبُّها الله، ويحبُّها رسـولُ الله: برُّ الوالدين، وصِلةُ الأرحام، وإكرامُ الزوجـة، وبذلُ الصَّدقـة، ومسـاعدةُ الضُّعفاء، وبـذلُ القَـرضِ الحسَـن، وإنْظـارُ المعسِـر حتَّى يُيسِّـر اللهُ لـه، وتَفريجُ الكـروب، وتأمينُ الخائفين، وجبرُ الخواطر، والإحسـانُ إلى الجار، والعطفُ على الفقـراء، ورعايةُ اليتامي، وعيادةُ المريض، وحفرُ الآبار، وزراعةُ الأشجار المثمِرة وأشـجارِ الظـلِّ في الصحـراء، وتَعبيـدُ الطُّـرق، وإماطـةُ الأذى عن طريقِ النـاس والمخلوقات، وبنـاءُ المدارس والمسـاجد والمشـافي، وكفالةُ الأرامـل والمسـاكين، ورعايةُ اليتامـى، والأمرُ بالخيـر، والإمسـاكُ عـنِ الشَّـر، والإسـهامُ في عـلاج المرضـى الفقـراء، وتعليـمُ الجاهـل، والإحسـانُ إلـى الوافديـن والسـائحين والزوار وأبناء السبيل، وإرشـادُ الحائر، وهدايةُ الضال، ونُصـرةُ المظلـوم، وكـفُّ الظالـم عـن ظلمـه، وإغاثـةُ الملهـوف، وإقامـةُ العدل بيـن الناس، والإصلاحُ بيـن المتخاصميـن، والكلمةُ الطيبة، وزيارةُ القبور، وإعانةُ الرجل للركوب على دابَّته أو مسـاعدته في رفـع الأحمـال عليهـا، ويقاسُ عليها مسـاعدتُه في إصلاح وسـائل السَّفر التي تَتعطَّـل على الطريق، ومراعاةُ مشـاعر الناس، والتخفيـفُ عمَّن ولّاكَ الله أمرَهـم في عملك أو بيتك وعدمُ تَحميلهم ما لا يطيقون، وتبسُّـمك في وجه أخيك، وإطعامُ الجائع.

وهنا، أشـيدُ بتَجربة بعـضِ المطاعم المحترمة التـي تقـدِّم الوجبـاتِ اليوميَّـة لغيـر القادرين مجانًا، وأدعو إلى التوسُّـع في مثل هذه التجربة في شـتى مجـالاتِ الحيـاة، لا سـيَّما في قطـاع الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية، والأسواق والمتاجـر وغيرهـا، كأنْ يقـوم كلُّ طبيـبٍ مثلًا بالكشف على عددٍ من الفقراء يوميًّا أو أسبوعيًّا مجانًا، وهكذا.

ومنهـا شـكرُ المنْعِـم علـى إنعامِـه، ونَجـدةُ المظلوميـن، وقَمـعُ الباغيـن، والحفـاظُ علـى ثُغـور الوطـنِ وحـدودِه، والدِّفـاعُ عـن قضايـاه ومُكتَسَباته، والحفاظُ على المال العام والخاص.

وكـذا الرفقُ بالحيوان وعدمُ تَحميله ما لا يطيق، ومراعاةُ مشـاعره، وقـد دعا النبـيُّ الكريم إلى الإحسـانِ بالحيـوانِ وأكَّدَ علـى عـدم إرهاقه أو الإسـاءةِ إليـه، وعلَّـم أصحابَـه الكـرامَ أنهـم إذا نَزلـوا مـن على الدَّواب في السـفر، ألّا يَنشـغلوا بالصـلاةِ حتى يُنْزِلوا الرِّحـالَ والأحمالَ مِن على ظهـور الـدَّواب، وعلَّمهـم أنهـم حين يَسـيرونَ بالـدَّواب في طريقٍ خصبٍ بالنَّباتـات التي أنبتَها اللهُ للحيوانـات والـدوابِ؛ فـلا يُسـرعوا حتـى تأخـذَ الدابَّة حقَّهـا وكفايتَها مـن الطعام، وحين يَسـيرون في طريقٍ مُجدبَـة لا تجدُ فيها الدابة ما تتغـذَّى عليـه؛ فعليهم أن يُسْـرعوا في المسـيرِ حتـى لا تجوعَ الدَّواب، وحتـى يَصلوا إلى أماكنَ أخرى للطعام!. ودعا عندَ حَلب البهيمة أنْ نتركَ في ضرْعِهـا مـن اللبـنِ مـا يكفي لإشـباع ولدِها الرَّضيـع؛ مراعاةً منـه (صلَّى اللهُ عليه وسـلَّم) لمشـاعرِ الأمِّ وصَغيرهـا، وجبـرًا لخاطرهما -ما أشرْنا إلى ذلك بالتفصيل-.

إنَّهـا -أيهـا السّـادة- صنائـعُ المعـروف، التي لا يعرفُها إلا الكبارُ الكرام.

إنَّهـا الأخـلاقُ النَّبويـة والرُّشـدُ الحضـاري الذي أرْساه مُعلمُ البشرية الذي جاءَ بالخير والخيرية لإصلاح الكون وإسعادِ الحياة.

نَصيحة:

وفي هذا المقام أنصحُ نَفسي -وإياكم- بما يلي:

* أن نُكثرَ من صَنائع المعروف في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ مجـالٍ وفي كلِّ حال، لتُصبـحَ منهجَ حياةٍ لنا

ولأولادنا، ومن ثمَّ جُموعِ المسلمين.

* وأن نقصـدَ بصَنائـع المعـروف وجـهَ الله (عزَّ وجلّ).

* وأن نتَّبـعَ سـنةَ المصطفـى (صلَّـى اللهُ عليه وسلم) وهديَه ومنهجَه على الدَّوام.

* وعلى الإنسـانِ ألّا يَحتقرَ من المعروف شـيئًا، ولو كان عملًا يَسـيرًا؛ فرُبَّ عملٍ صغير تعظّمه النيَّةُ الخالصة.

• وعلينـا أن نُسـارعَ في الاسـتجابة لمسـاعدةِ الضعفـاء والمكروبيـن، وننفِّـسَ عنهـم بنَفْسٍ راضيـة، فاللهُ في عَون العبدِ مادامَ العبدُ في عَوْنِ أخيه.

* وأن نَسـعَى لنَيـل مَحبَّة الله، فإنَّ أحبَّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس.

* وأن نَفرَح ونَسعَد ونَحمَد الله الكريمَ أن جعلنا مِن جابري الخواطِر، ومِن صانعي المعروف.

* نقطـةٌ مهمَّة أحبُّ أن أؤكدَها، وهي أنَّ صنائعَ المعـروف يجب أن تَسـودَ في بيوتِنـا ومعَ أهلنا وأقاربنا وجيرانِنا، كما تسودُ مع الناس، فبعضُ الناس تجدُهم في بيوتهم كأبي سـفيان في شُحِّه، ومع باقي الناس كحاتِم الطائيِّ في جودِه وكرمِه، مُتناسـينَ حديثَ النبيِّ الكريم: (خَيْرُكم خَيْرُكم لِأَهْلِه، وأنا خَيْرُكم لِأَهْلي) (حديث صحيح).

• أن نصنعَ المعروفَ ونَبرعَ في إتقانِه وتجويدِه، حتى ننالَ البـرَّ ورضا الله، ونَنعَمَ بالسَّـعادتين، وبالنَّظـر إلى وجـهِ الله الكريم، قـال تعالى: «لَنْ تَنَالُـوا الْبِـرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّـونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» (آل عمران: 92).

* ولمـا كان الشـيءُ بالشـيءِ يُذكَـر؛ يجبُ على التُّجـار -ومَـن علـى شـاكلتهم- أن يُقلِّلـوا من هامـشِ أرباحهـم وقـتَ الشـدائد والملمّـات والأزمـات، فذلك بـابٌ عظيمٌ من أبـواب صَنائع المعروف.

ثمراتُ صَنائع المَعروف:

كثيـرًا ما نَسـمعُ عبـارة: (قـدَّر ولَطَـف) عندما يتعـرَّض البعـضُ لأمرٍ خطير ويُنجّيـه اللهُ منه، ذلك أنَّ صنائعَ المعروفِ ردَّت إليهم لُطفًا وكرمًا وتَخفيفًـا، فمَن تعـرَّف على الله في الرَّخـاءِ نالتْه رحمـاتُ الله في الشَّـدة. إنَّهـا صنائـعُ المعروف يُنجِّيهـم اللهُ بهـا من الغَـرق والحَـرق والتردّي والهدْم، وغيرها من الحوادث والكوارث.

«وكم من مُسـلم نجّاه اللهُ من مواقفَ عَصيبة، وشـدادَ كَئيبـة؛ بسـبب فعلِه للخيـر. وكم من مُسلم حفظَ اللهُ عليه مالَه من الضَّياع والسرقة والتَّلفِ بسبب إحسـانِه. وكم من مُسلم كشفَ اللهُ عنـه ضـرَّه، وعافـاه مـن مرضِـه بسـببِ مَعروفـه للنـاس. وكـم مـن مُسـلم حفـظَ اللهُ عليـه أولادَه وأهلَه من المهلكاتِ بسـبب نفعِه للناس». (انظر عبد الله بن محمد الطيار: صنائع المعروف تقي مصارع السوء).

إنَّ أعمارَنـا قصيـرة، فيجـبُ أن نَسـتثمرَها في صناعـة الخير، وفي الإبداع في العطاء، وفي إسـعادِ النـاس والمخلوقـات، وفي أدائنـا الحضـاريِّ المتميز؛ قبلَ أن يَنتهى العمر، فكلُّنا سنموت.. فاعلمْ أنَّ سـهمَ الموتِ قد أُطلِقَ عليك، وعُمرُك هـو مقدارُ سَـفر السَّـهم إليك، فهيّا بنا نُسـارع في صنائـع المعـروف، فأهلُ المعـروف في الدنيا هُم أهلُ المعروف في الآخرة، وأهلُ الإحسـان في الدنيـا هم أهلُ الجزاء الحسَـن في الآخرة، وأهلُ الرحمـة في الدنيا هُم من الذين سـيَرحَمهم اللهُ يوم القيامة.

اللهمَّ اجْعَلنا منهم، ومَعهم، وفيهم؛ برَحْمتِك يا ربَّ العالمين.

يجبُ أن نَستثمرَ أعمارَنا في صناعة الخير، وفي الإبداع في العطاء، وفي إسعادِ الناس والمخلوقات، وفي أدائنا الحضاريِّ المتميزقبلَ أن يَنتهى العمر

ناقل التضليل

بقلم: عثمان أبوزيد ـ السعودية

■ تلقى أحد الناشطين في الوسائط تنبيهًا من موقع متخصص في التحقق من الأخبار يصف منشورًا له بأنه محتوى مضلل.

يقول الناشط إن الشك دخل في نفسه تجاه هذا المنشور عندما حصل معه تفاعل غير عادي... المواد الإعلامية الخاطئة تجد عادة مثل هذا الرواج.

وتفضل الموقع المتخصص بإسداء النصح لهذا الناشط فقالت إن عوامل تصديق الشائعات والمعلومات المضللة كثيرة، منها: ميل الإنسان في العادة إلى تفضيل المعلومات التي تؤكد ميوله ومعتقداته، وتجاهل الأدلة التي تناقضها. ومنها أيضًا اعتماد الأفراد على خلق انطباع في أذهانهم من أول معلومة يتلقونها. ومن الصعب محو أثر المعلومة الأولى وإيحائها المستمر حتى لو تأكد زيفها.

وقال الموقع: هناك استجابة عاطفية للأخبار من جراء القلق والخوف، والحاجة إلى الاطمئنان بتفسير أحداث معقدة تستعصي على الفهم.

ولا يخفى ما قد يتعرض له المتابع للأحداث من توتر وإجهاد يقلل من قدرته على تقييم المعلومات أو التحقق من صحتها.

يدفعنا مثل هذا الموقف إلى تساؤل: أين رواة الأخبار وكتبة (الميديا) في وقتنا الحاضر من منهج النقد الحديثي الذي أرسى قواعده علماء السنة، بل أين هم من شروط توثيق الرواة عند أئمة الجرح والتعديل.

يؤثر عن ابن الصلاح صاحب المقدمة المشهورة أنه انتقد طريقة الناس في نقل الروايات في عهده فقال: «أعرض الناس في هذه الأعصار المتأخرة عن اعتبار مجموع ما بيّنا من الشروط في رواة الحديث ومشايخه... لتعذر الوفاء بذلك».

ماذا لو انتقل ابن الصلاح إلى عصرنا الحاضر؛ فأعمل منهجه على المحتوى الإعلامي السائد، لعله كان يصف كثيرًا من رواة هذا العصر بألفاظ مثل: «لين الحديث، ضعيف الحديث» أما منشئو المحتوى في وسائل التواصل الاجتماعي و«اللايفاتية» فالكثير منهم ممن يصدق فيهم وصف: «المتروك، أو الساقط، أو الذي لا يُحتج به، أو الكذاب»!

التذكير بهذا المنهج القويم مطلوب في هذا الوقت والحض على التزامه، وناهيك بالمنهج القرآني الذي يتعهدنا برد الأمر إلى أولى الأمر للوقوف على بيان الصحيح من السقيم، يقول الله تعالى: «وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا».

مطلوب منا تلقي الأخبار بالشك الصحي وأعني السؤال عن مصدر الخبر وسياقه ومعقوليته دون وقوع في وسوسة مرضية، ومطلوب أن نضبط عواطفنا قدر الإمكان وأن نمارس التفكير الناقد إزاء ما نرى ونسمع حتى لا نقع في التضليل.

والله المستعان.

مشاريع رابطة العالم الإسلامي
لتحقيق التنمية في أوغندا
رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE